٦٠١

ثم دخلت سنة إحدى وستمائة

ذكر ملك كَيْخَسرُو بن قلج أرسلان بلاد الروم من ابن أخيه

في هذه السنة، في رجب، ملك غياث الدين كَيْخَسرُو بن قلج أرسلان بلاد الروم التي كانت بيد أخيه ركن الدّين سليمان وانتقلت بعد موته إلى ابنه قلج أرسلان بن ركن الدّين.

وكان سبب مُلك غياث الدّين لها أنّ ركن الدّين كان قد أخذ ما كان لأخيه غياث الدّين، وهو مدينة قُونِيَة، فهرب غياث الدّين منه، وقصد الشام إلى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدّين، صاحب حلب، فلم يجد عنده قبولاً، وقصّر به، فسار من عنده، وتقلّب في البلاد إلى أن وصل إلى القسطنْطينيّة، فأحسن إليه ملك الروم وأقطعه وأكرمه، فأقام عنده، وتزوّج بابنة بعض البطارقة الكبار.

وكان لهذا البطريق قلعة من عمل القسطنطينيّة، فلمّا ملك الفرنج القسطنطينيّة هرب غياث الدّين إلى حَمِيّه، وهو بقلعته، فأنزله عنده وقال له: نشترك في هذه القلعة، ونقنع بدخلها. فأقام عنده؛ فلمّا مات أخوه سنة ستّمائة، كما ذكرناه، اجتمع الأمراء[1] على ولده، وخالفهم الأتراك الأوج[2]، وهم كثير بتلك البلاد، وأنِف من اتّباعهم، وأرسل إلى غياث الدّين يستدعيه إليه ليملّكه البلاد، فسار إليه، فوصل في جُمادى الأولى، واجتمع به، وكثُر جمعه، وقصد مدينة قونية ليحصرها، وكان ولد ركن الدّين والعساكر بها، فأخرجوا إليه طائفة من العسكر، فلقوه فهزموه، فبقي حيران لا يدري أين يتوجّه، فقصد بلدة صغيرة يقال لها أُوكَرم بالقرب من قونية.

---

(١) في الباريسية: «الأمر».

(٢) في الباريسية: «وخالفهم الأمير وهو من الأتراك الأوج».

فقدّر الله تعالى أنّ أهل مدينة أقصَرا وثبوا على الوالي فأخرجوه منها ونادوا بشعار غياث الدّين، فلمّا سمع أهل قونية بما فعله أهل أقصَرا قالوا: نحن أولى مَن فعل هذا؛ لأنّه كان حسن السيرة فيهم لما كان مالكهم، فنادوا باسمه أيضاً، وأخرجوا مَن عندهم، واستدعوه، فحضر عندهم، وملك المدينة وقبض على ابن أخيه ومَن معه، وآتاه الله الملك، وجمع له البلاد جميعها في ساعة واحدة، فسبحان مَن إذا أراد أمراً هيّأ أسبابه.

وكان أخوه قيصر شاه الذي كان صاحب ملطيَة، لمّا أخذها ركن الدّين منه سنة سبْع وتسعين [وخمسمائة]، خرج[1] منها، وقصد الملك العادل أبا بكر بن أيّوب، لأنّه كانَ تزوج ابنته مستنصراً به، فأمره بالمقام بمدينة الرُّها، فأقام بها، فلمّا سمع بمُلك أخيه غياث الدّين سار إليه، فلم يجد عنده قبولاً، إنّما أعطاه شيئاً وأمره بمفارقة البلاد، فعاد إلى الرُّها وأقام بها، فلمّا استقرّ ملك [غياث الدّين سار إليه الأفضل صاحب][2] سُمَيساط، (فلقيه بمدينة قَيساريّة)[3]، وقصده أيضاً نظام الدّين صاحب خَرْتَ بِرْتَ، وصار معه، فعظُم شأنه وقوي أمره[4].

ذكر حصر صاحب آمِد خَرتَ بِرْتَ ورجوعه عنها

كانت خَرْتَ بِرت لعماد الدّين بن قُرا أرسلان، فمات، وملكها بعده ابنه نظام الدّين أبو بكر، والتجأ إلى ركن الدّين بن قلج أرسلان، وبعده إلى أخيه غياث الدّين ليمتنع به من ابن عمّه ناصر الدّين محمود بن محمّد بن قُرا أرسلان، فامتنع به.

وكان صاحب آمِد ملتجئاً إلى الملك العادل، وفي طاعته، وحضر مع ابنه الملك الأشرف قتال صاحب الموصل على شرط أنّه يسير معه في عساكره، ويأخذ له خَرْتَ بِرتَ، وإنّما طمع فيها بموت ركن الدّين، فلمّا دخلت هذه السنة طلب ما كان استقرّ الأمر عليه، فسار معه الملك الأشرف وعساكر ديار الجزيرة من سِنجار، وجزيرة ابن عمر، والموصل، وغيرها، وكان نزولهم عليها في شعبان؛ وفي رمضان تسلّموا

---

(١) في الأوربية: «فخرج».

(٢) من الباريسية.

(٣) ما بين القوسين ساقط من الباريسية.

(٤) نهاية الأرب ٢٧/٩٩، ١٠٠، الجامع المختصر لابن الساعي ٩/١٥١، البداية والنهاية ١٣/٤١، العسجد المسبوك ٢/٢٩٠، ٢٩١.

ربضَها؛ وكان صاحبها قد اجتمع بغياث الدّين، بعد أن ملك البلاد الروميّة، وصار معه في طاعته، فلمّا نزل صاحب آمِد على خَرْتَ بِرْتَ خاطب صاحبها غياث[1] الدّين ينجده بعسكر يرحّلهم عنه، فجهّز عسكراً كثيراً عدّتهم ستّة آلاف فارس، وسيّرهم [مع] الملك الأفضل عليّ بن صلاح الدّين وهو صاحب سُمَيساط، فلمّا وصل العسكر إلى مَلَطْيَة فارق صاحب آمِد ومَن معه من خَرْت بِرت، ونزلوا إلى الصحراء، وحصروا البحيرة المعروفة ببحيرة سَمنين وبها حصنان أحدهما لصاحب خَرت بِرت، فحصره وزاحفه، ففتحه ثاني ذي الحجّة.

ووصل صاحب خَرت بِرت مع العسكر الروميّ إلى خَرت بِرت، فرحل صاحب آمِد عن البحيرة وقوّى الحصن الذي فتحه فيها، فأزاح علّته، ورحل إلى خلف مرحلة ونزل، وتردّدت الرسل؛ والعسكر الروميّ يطلب البحيرة، وصاحب آمِد يمتنع من ذلك، فلمّا طال الأمر بقي الحصن بيد صاحب آمِد، وانفصل العسكران، وعاد كلّ فريق إلى بلاده[2].

ذكر الفِتَن ببغداد

في سابع عشر رمضان جرت فتنة ببغداد بين أهل باب الأزَج وأهل المأمونيّة، وسببها أنّ أهل باب الأزَج قتلوا سَبُعاً وأرادوا أن يطوفوا به، فمنعهم أهل المأمونيّة، فوقعت الفتنة بينهما عند البَستان الكبير، فجُرح منهم خلق كثير، وقُتل جماعة، وركب صاحب الباب لتسكين الفتنة، فجُرح فرسُه، فعاد.

فلمّا كان الغد سار أهل المأمونيّة إلى أهل باب الأزَج، فوقعت بينهم فتنة شديدة وقتالٌ بالسيوف والنشاب، واشتدّ الأمر، فنُهبت الدُّور القريبة منهم، وسعى الركن ابن عبد القادر ويوسف العقاب في تسكين الناس، وركب الأتراك، فصاروا يبيتون تحت المنظرة، فامتنع أهل الفتنة من الاجتماع، فسكنوا.

وفي العشرين منه جرت فتنة بين أهل قَطُفْتَا والقرية، من محالّ الجانب الغربيّ، بسبب قتل سَبُع أيضاً، أراد أهل قَطُفْتا أن يجتمعوا ويطوفوا به، فمنعهم أهل القرية أن يجوزوا به عندهم، فاقتتلوا، وقُتل بينهم عدّة قتلى، فأُرسل إليهم عسكر من الدّيوان لتلافي الأمر ومَنْع الناس عن الفتنة، فامتنعوا.

---

(١) في الأوربية: «الغياث».

(٢) الجامع المختصر ٩/١٥١، البداية والنهاية ١٣/٤١، العسجد المسبوك ٢/٢٩١، ٢٩٢.

وفي تاسع رمضان كانت فتنة بين أهل سوق السلطان والجَعْفَريّة، منشأها أنّ رجلَيْن من المحلّتَيْن اختصما وتوعّد كلّ واحد منهما صاحبه، فاجتمع أهل المحلّتين، واقتتلوا في مقبرة الجَعفريّة، فسُيّر إليهم من الدّيوان مَن تلافى الأمرَ وسكّنه؛ فلمّا كثُرت الفِتن رُتّب أمير كبير من مماليك الخليفة، ومعه جماعة كثيرة، فطاف في البلد، وقتل جماعة ممّن فيه شُبهة، فسكن الناس.

ذكر غارة الكُرج على بلاد الإسلام

في هذه السنة أغارت الكُرج على بلاد الإسلام من ناحية أذربَيجان، فأكثروا العيث والفساد والنهب والسبي، ثمّ أغاروا على ناحية خِلاط من أرمينية، فأوغلوا في البلاد حتّى بلغوا مَلازَكُرد، ولم يخرج إليهم أحد من المسلمين يمنعهم، فجاسوا خلال البلاد ينهبون ويأسرون ويسبُون، وكلّما [تقدّموا][1] تأخّرت عساكر المسلمين عنهم، ثمّ إنّهم رجعوا، فالله تعالى ينظر إلى الإسلام وأهله، وييسّر لهم مَن يحمي بلادهم، ويحفظ ثغورهم، ويغزو أعداءهم.

وفيها أغارت[2] الكُرج [على] بلاد خِلاط، فأتوا إلى أرجيش ونواحيها، فنهبوا، وسبوا، وخرّبوا البلاد، وساروا إلى حصن التّين[3]، من أعمال خِلاط، وهو مجاور أرزَن الروم، فجمع صاحب خلاط عسكره وسار إلى ولد قلج أرسلان، صاحب أرزَن الروم، فاستنجده على الكُرج، فسيّر عسكره جميعه معه، فتوجّهوا نحو الكُرج، فلقوهم، وتصافّوا، واقتتلوا، فانهزمت الكُرج، وقُتل زكري الصغير، وهو من أكابر مقدّميهم، وهو الذي كان مقدّم هذا العسكر من الكُرج والمقاتلِ بهم، وغنم المسلمون ما معهم من الأموال والسلاح والكراع وغير ذلك، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأسروا كذلك، وعاد إلى بلاده[4].

ذكر الحرب بين أمير مكّة وأمير المدينة

وفي هذه السنة أيضاً كانت الحرب بين الأمير قَتادة الحَسَنيّ، أمير مكّة، وبين

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الأوربية: «غارت».

(٣) في (أ): «حصن التي».

(٤) الجامع المختصر لابن الساعي ١٥١/٩، تاريخ مختصر الدول ٢٢٨، دول الإسلام ١٠٩/٢ (حوادث ٦٠٢هـ.)، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠١هـ.) ص ٧، البداية والنهاية ٤١/١٣، العسجد المسبوك ٢٩٢/٢.

الأمير سالم بن قاسم الحسينيّ، أمير المدينة، ومع كلّ واحدٍ منهما جمع كثير، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت الحرب بذي الحُلَيْفة، بالقرب من المدينة، وكان قَتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها، فلقيه سالم بعد أن قصد الحجرة، على ساكنها الصلاة والسلام، فصلّى عندها، ودعا وسار فلقيه، فانهزم قتادة، وتبِعه سالم إلى مكّة فحصره بها، فأرسل قتادة إلى مَن مع سالم من الأمراء، فأَفسدهم عليه، فمالوا إليه وحالفوه، فلمّا رأى سالم ذلك رحل عنه عائداً إلى المدينة وعاد أمر قتادة قويّاً[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في يوم الجمعة رابع عشر جُمادى الآخرة، قُطعت خطبة وليّ العهد، وأُظهر خطّ قرىء بدار الوزير نصير الدّين ناصر بن مهديّ الرازيّ، وإذا هو خطّ وليّ العهد الأمير أبي نصر ابن الخليفة إلى أبيه الناصر لدين الله أمير المؤمنين، يتضمّن العجز عن القيام بولاية العهد، ويطلب الإقالة، وشهد عَدْلان أنّه خطّه، وأنّ الخليفة أقاله، وعُمل بذلك محضرٌ شهد فيه القضاة والعدول والفقهاء[2].

وفي هذه السنة ولدت امرأة ببغداد ولداً له رأسان وأربع أرجُل ويدان، ومات في يومه[3].

وفيها أيضاً وقع الحريق في خزانة السلاح التي للخليفة، فاحترق فيها منه شيء كثير، وبقيت النار يومَيْن، وسار ذكر هذا الحريق في البلدان، فحمل الملوك من السلاح إلى بغداد شيئاً كثيراً[4].

وفي هذه السنة وقع الثلج بمدينة هَراة أسبوعاً كاملاً، فلمّا سكن جاء بعده سيل من الجبل من باب سَرَا، خرّب كثيراً من البلد، ورمى من حصنه قطعة عظيمة، وجاء بعده برَدٌ شديدٌ أهلك الثمار، فلم يكن بها تلك السنة شيء إلاّ اليسير[5].

---

(١) في الأوربية: «قويّ». والخبر في: الجامع المختصر ٩/ ١٥٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٤١.

(٢) مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/ ٥٢٢، ٥٢٣، ذيل الروضتين ٥٠، الجامع المختصر ٩/ ١٤٤، مفرّج الكروب ٣/ ١٦٨، ١٦٩، تاريخ الإسلام (٦٠١هـ.) ص ٥، البداية والنهاية ١٣/ ٤٠، العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٣.

(٣) الجامع المختصر ٩/ ١٥٥، تاريخ الإسلام (٦٠١هـ.) ص ٨، البداية والنهاية ١٣/ ٤٣، العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٣، تاريخ الخلفاء ٤٥٦، المختار من تاريخ ابن الجزري ٨٩.

(٤) مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/ ٥٢٣، تاريخ الإسلام (٦٠١هـ.) ص ٥، دول الإسلام ٢/ ١٠٨، البداية والنهاية ١٣/ ٤١، العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٣.

(٥) العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٤.

وفيها، في شعبان، خرج عسكر من الغوريّة مقدّمهم الأمير زنكي بن مسعود إلى مدينة مَرْوَ، فلقيهم نائب خُوارزم شاه بمدينة سَرْخَس، وهو الأمير جَقر، وكمّن له كميناً، فلمّا وصلوا إليه هزمهم، وأخذ وجوه الغوريّة أسرى، فلم يُفلت منهم إلاّ القليل، وأخذ أميرهم زنكي أسيراً، فقُتل صبراً، وعُلقت رؤوسهم بمَرْو أيّاماً[(١)].

وفيها، في ذي القعدة، سار الأمير عماد الدّين عمر بن الحسين الغوريّ، صاحب بلْخ، إلى مدينة تِرْمذَ، وهي للأتراك الخطا، فافتتحها عَنوة، وجعل بها ولده الأكبر، وقَتل مَن بها من الخطا، ونقل العلويّين منها إلى [بلخ][(٢)]، وصارت تِرْمذ دار إسلام، وهي من أمنع الحصون وأقواها[(٣)].

[الوفيات]

وفيها تُوفّي صدر الدّين السجزيّ شيخ خانكاه السلطان بهَراة[(٤)].

وفيها، في صفر، تُوفّي أبو عليّ الحسن بن محمّد بن عبدوس[(٥)] الشاعر الواسطيّ، وهو من الشعراء المجيدين، واجتمعتُ به بالموصل، وَرَدَها مادحاً لصاحبها نور الدّين أرسلان شاه وغيره من المقدّمين، وكان نِعم الرجل، حسنَ الصُّحبة والعِشْرة.

وفيها اجتمع ببغداد رجلان أعميان على رجل أعمى أيضاً، وقتلاه بمسجدٍ طمعاً في أن يأخذا منه شيئاً، فلم يجدا معه ما يأخذانه، وأدركهما الصباح، فهربا من الخوف يريدان الموصل، ورؤي الرجل مقتولاً، ولم يُعلم قاتله، فاتّفق أنّ بعض أصحاب الشِّحنة اجتاز من الحريم في خصومة جرت، فرأى الرجلَيْن الضريرَيْن، فقال لمن معه: هؤلاء الذين قتلوا الأعمى؛ يقوله مزحاً، فقال أحدهما: هذا والله قتله؛ فقال الآخر: بل أنت قتلتَه؛ فأُخذا إلى صاحب الباب، فأقرا، فقُتل أحدهما، وصُلب الآخر على باب المسجد الذي قتلا فيه الرجل.

---

(١) الجامع المختصر ٩/ ١٥٢، العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٤.

(٢) من الباريسية.

(٣) الجامع المختصر ٩/ ١٥٢، العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٤.

(٤) أنظر عن (صدر الدين السجزي) في: العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٥ وفيه تصحفت نسبته إلى: «السنجري».

(٥) أنظر عن (ابن عبدوس) الشاعر في: تاريخ الإسلام (وفيات ٦٠١هـ.) ص ٥٢.

٦٠٢
ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة

ذكر الفتنة بهَراة

في هذه السنة، في المحرّم، ثار العامّة بهَراة، وجرت فيه فتنة عظيمة بين أهل السوقَيْن: الحدّادين والصفّارين، قُتل فيها جماعة، ونُهبت الأموال، وخُرّبت الدّيار، فخرج أمير البلد ليكفّهم، فضربه بعض العامّة بحجرٍ ناله منه ألمٌ شديد، واجتمع الغوغاء عليه، فرُفع إلى القصر الفِيروزيّ، واختفى أيّاماً إلى أن سكنت الفتنة ثمّ ظهر[1].

ذكر قتال شهاب الدّين الغُوريّ بني كَوْكَر[2]

قد ذكرنا انهزام شهاب الدّين محمّد بن سام الغُوريّ، صاحب غَزْنة، من الخطا الكفّار، وأنّ الخبر ظهر ببلاده أنّه عُدم من المعركة ولم يقف أصحابه له على خبر، فلمّا اشتهر هذا الخبر ثار المفسدون في أطراف البلاد، وكان ممّن أفسد دانيال، صاحب جبل الجُوديّ، فإنّه كان قد أسلم، فلمّا بلغه الخبر ارتدّ عن الإسلام، وتابع بني كَوكَر[2]، وكان في جملة الخارجين عليه بنو كَوكَر[2] ومساكنهم في جبال بين لَهَاوور والمُولتان حصينة منيعة، وكانوا قد أطاعوا شهاب الدّين، وحملوا له الخراج، فلمّا بلغهم خبر عدمه ثاروا فيمن معهم من قبائلهم وعشائرهم، وأطاعهم صاحب جبل الجُوديّ وغيره من القاطنين بتلك الجبال، ومنعوا الطريق من لَهاوور وغيرها إلى غَزْنة.

فلمّا فرغ شهاب الدّين من قتل مملوكه أيبَك باك، وقد ذكرناه، أرسل إلى نائبه بلَهاوور والمولتان، وهو محمّد بن أبي عليّ، يأمره بحمل المال لسنة ستّمائة، وسنة

(١) الجامع المختصر ٩/ ١٦٩، العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٦.
(٢) في نهاية الأرب ٢٦/ ١٠٥ «كركر».

إحدى وستّمائة، ليتجهّز به لحرب الخطا، فأجاب أن أولاد كَوكر قد قطعوا الطريق، ولا يمكنه إرسال المال، وحضر جماعة من التجّار، وذكروا أنّ قَفَلاً كبيراً أخذه أولاد كوكر، ولم ينج منه إلاّ القليل؛ فأمر شهاب الدّين مملوكه أيبَك، مقدّم عساكر الهند، أن يُراسل بني كوكر يدعوهم إلى الطاعة، ويتهدّدهم إن لم يجيبوا إلى ذلك، ففعل ذلك، فقال ابن كوكر: لأيّ معنى لم يرسل السلطان إلينا رسولاً؟ فقال له الرسول: وما قدركم أنتم حتّى يرسل إليكم، وإنّما مملوكه يبصّركم رشدكم، ويهدّدكم. فقال ابن كوكر: لو كان شهاب الدّين حيّاً لراسلنا، وقد كنّا ندفع الأموال إليه، فحيث عُدم فقُل لأيبَك يترك لنا لَهاوور وما والاها، وفَرشابُور، ونحن نصالحه؛ فقال الرسول: أنفذ أنت جاسوساً تثق به فيأتيك[1] بخبر شهاب الدّين من فَرشابُور؛ فلم يصْغ إلى قوله، فردّه، فعاد وأخبر بما سمع ورأى، فأمر شهاب الدّين مملوكه قُطْب الدّين أيبَك بالعَود إلى بلاده، وجمْع العساكر، وقتال بني كوكر، فعاد إلى دَهْلي، وأمر عساكره بالاستعداد، فأقام شهاب الدّين في فَرشابور إلى نصف شعبان من سنة إحدى وستّمائة، ثمّ عاد إلى غَزنة فوصلها أوّل رمضان، وأمر بالنداء في العساكر بالتجهّز لقتال الخطا، وأنّ المسير يكون أوّل شوّال، فتجهّزوا لذلك.

فاتّفق أنّ الشكايات كثُرت من بني كوكر وما يتعهّدونه[2] من إخافة السبل وأنّهم قد أنفذوا شِحنة إلى البلاد، ووافقهم أكثر الهنود، وخرجوا من طاعة أمير لَهاوور والمولتان وغيرهما.

ووصل كتاب الوالي يذكر ما قد دهمه منهم، وأنّ عُمّاله قد أخرجهم بنو كوكر، وجبوا الخراج، وأنّ ابن كوكر مقدّمهم أرسل إليه ليترك له لَهاوور والبلاد والفِيَلة ويقول أن يحضر شهاب وإلاّ قتله، ويقول: إن لم يحضر السلطان شهاب الدّين بنفسه ومعه العساكر وإلاّ خرجت البلاد من يده.

وتحدّث الناس بكثرة مَن معهم من الجموع، وما لهم من القوّة، فتغير عزم شهاب الدّين حينئذٍ عن غزو الخطا، وأخرج خيامه وسار عن غَزْنة خامس ربيع الأوّل سنة اثنتين وستّمائة، فلمّا سار وأبعد انقطعت أخباره عن الناس بغزنة وفَرشابور، حتّى أرجف الناس بانهزامه.

---

(١) في الأوربية: «إليه يأتيك».

(٢) في الأوربية: «يعتهدونه».

وكان شهاب الدّين لمّا سار عن فَرشابور أتاه خبر ابن كوكر أنّه نازل في عساكره ما بين جَيلم وسُودرة، فجدّ السير إليه، فدهمه قبل الوقت الذي كان يقدّر وصوله فيه، فاقتتلوا قتالاً شديداً يوم الخميس لخمس بقين من ربيع الآخر، من بُكرة إلى العصر، واشتدّ القتال، فبينما هم في القتال أقبل قُطْب الدّين أيبَك في عساكره، فنادوا بشعار الإسلام، وحملوا حملة صادقة، فانهزم الكوكريّة ومن انضمّ إليهم، وقُتلوا بكلّ مكان، وقصدوا أجمةً هناك، فاجتمعوا بها، وأضرموا ناراً، فكان أحدهم يقول لصاحبه: لا تترك المسلمين يقتلونك؛ ثمّ يلقي نفسه في النار فيلقي صاحبه نفسه بعده فيها، فعمّهم الفناء قتلاً وحرقاً، فـ ﴿بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وكان أهلهم وأموالهم معهم لم يفارقوها، فغنم المسلمون منهم ما لم يُسمع بمثله، حتّى إنّ المماليك كانوا يُباعون كلّ خمسة بدينار ركنيّ ونحوه، وهرب ابن كوكر بعد أن قتل إخوته وأهله.

وأمّا ابن دانيال، صاحب جبل الجُوديّ، فإنّه جاء ليلاً إلى قُطب الدّين أيبك، فاستجار به، فأجاره، وشفع فيه إلى شهاب الدّين، فشفّعه فيه، وأخذ منه قلعة الجُوديّ؛ فلمّا فرغ منهم سار نحو لَهاوور لتأمن أهلها ويسكن روعهم، وأمر الناسَ بالرجوع إلى بلادهم والتّجهُّز لحرب بلاد الخطا، وأقام شهاب الدّين بلَهَاوور إلى سادس عشر رجب، وعاد نحو غَزنة، وأرسل إلى بهاء الدّين سام، صاحب باميان، ليتجهّز للمسير إلى سمَرْقَنْدَ، ويعمل جسراً ليعبر هو وعساكره عليه[2].

ذكر الظفر بالتيراهيّة[3]

كان من جملة الخارجين المفسدين أيضاً على شهاب الدّين التيراهيّة[3]، فإنّهم خرجوا إلى حدود سوران ومكرَهان للغارة على المسلمين، فأوقع بهم نائب تاج الدّين ألْدُز، مملوك شهاب الدّين بتلك الناحية، ويُعرف بالحلحي، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وحمل رؤوس المعروفين فعُلّقت ببلاد الإسلام.

وكانت فتنة هؤلاء التيراهيّة[3] على بلاد الإسلام عظيمةً قديماً وحديثاً؛ وكانوا إذا

---

(1) سورة هود، الآية ٤٤.

(2) الجامع المختصر ١٦٩/٩، البداية والنهاية ٤٣/١٣ (باختصار)، العسجد المسبوك ٢٩٦/٢ ـ ٢٩٨، نهاية الأرب ١٠٥/٢٦، ١٠٦.

(3) في العسجد المسبوك ٢٩٨/٢ «السراهنة».

وقع بأيديهم أسير من المسلمين عذّبوه بأنواع العذاب.

وكان أهل فَرشابور معهم في ضرّ شديد لأنّهم يحيطون بتلك الولاية من جوانبها، لا سيّما آخر أيّام بيت سُبُكتِكِين، فإنّ الملوك ضعفوا وقوي هؤلاء عليهم، وكانوا يغيرون على أطراف البلاد، وكانوا كفّاراً لا دين لهم يرجعون إليه، ولا مذهب يعتمدون عليه، إلاّ أنّهم كانوا إذا وُلد لأحدهم بنت وقف على باب داره ونادى: من يتزوّج هذه؟ مَن يقبلها؟ فإن أجابه أحد تركها، وإلاّ قتلها، ويكون للمرأة عدّة أزواج، فإذا كان أحدهم عندها جعل مداسه على الباب، فإذا جاء غيره من أزواجها ورأى مَداسه عاد.

ولم يزالوا كذلك حتّى أسلم طائفة منهم آخر أيّام شهاب الدّين الغوريّ، فكفّوا عن البلاد.

وسبب إسلامهم أنّهم أسروا إنساناً من فَرشابور، فعذّبوه فلم يَمُتْ، ودامت أيّامه عندهم، فأحضره يوماً مقدّمهم وسأله عن بلاد الإسلام، وقال له: لو حضرتُ أنا عند شهاب الدّين ماذا كان يُعطيني؟ فقال له المعلّم: كان يُعطيك الأموال والأقطاع ويردّ إليك حكم جميع البلاد التي لكم؛ فأرسله إلى شهاب الدّين في الدخول في الإسلام، فأعاده ومعه رسول بالخلع والمنشور بالأقطاع، فلمّا وصل إليه الرسول سار هو وجماعة من أهله إلى شهاب الدّين، فأسلموا وعادوا، وكان للناس بهم راحة؛ فلمّا كانت هذه الفتنة واختلفت البلاد نزل أكثرهم من الجبال، فلم يكن لهذه الطائفة بهم قدرة ليمنعوهم، فأفسدوا وعملوا[1] ما ذكرناه[2].

ذكر قتل شهاب الدّين الغُوريّ

في هذه السنة، أوّل ليلة من شعبان، قُتل شهاب الدّين أبو المظفّر محمّد بن سام الغُوريّ[3]، ملك غَزنة وبعض خُراسان، بعد عَوده من لَهاوُور، بمنزل يقال له دميل، وقت صلاة العشاء.

وكان سبب قتله أنّ نفراً من الكفّار الكوكريّة لزموا عسكره عازمين على قتله، لما فعل بهم من القتل والأسر والسبي، فلمّا كان هذه الليلة تفرّق عنه أصحابه، وكان قد

(١) في الأوربية: «وأعملوا».

(٢) العسجد المسبوك ٢/٢٩٨ باختصار.

(٣) أنظر عن (محمد بن سام الغوري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٦٠٢هـ.).

عاد ومعه من الأموال ما لا يُحدّ، فإنّه كان عازماً على قصد الخطا، والاستكثار من العساكر، وتفريق المال فيهم: وقد أمر عساكره بالهند باللحاق به، وأمر عساكره الخُراسانيّة بالتّجهُّز إلى أن يصل إليهم، فأتاه الله من حيث لم يحتسب، ولم يُغن عنه ما جمع من مال وسلاح ورجال، لكن كان على نيّة صالحة من قتال الكفّار.

فلمّا تفرّق عنه أصحابه، وبقي وحده في خركاه، ثار أولئك النفر، فقتل أحدهم بعض الحرّاس بباب سُرادق شهاب الدّين، فلمّا قتلوه صاحب، فثار أصحابه من حول السُّرادق لينظروا ما بصاحبهم، فأخلوا مَواقفهم[1]، وكثُر الزّحام، فاغتنم الكوكريّة غفلتهم عن الحفظ، فدخلوا على شهاب الدّين وهو في الخركاه، فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه، فدخل عليه أصحابه، فوجدوه على مُصَلّاه قتيلاً وهو ساجد[2]، فأخذوا أولئك الكفّار فقتلوهم، وكان فيهم اثنان مختونان.

وقيل إنّما قتله الإسماعيليّة لأنّهم خافوا خروجه إلى خُراسان[3]، وكان له عسكر يحاصر بعض قلاعهم على ما ذكرناه.

فلمّا قُتل اجتمع الأمراء عند وزيره مؤيّد المُلْك بن خوجا[4] سِجِسْتَان، فتحالفوا على حفظ الخزانة والملك، ولزوم السكينة إلى أن يظهر مَن يتولاّه، وأجلسوا شهاب الدّين وخيّطوا جراحه وجعلوه في المِحَفّة وساروا به، ورتّب الوزيرالأمور، وسكّن الناس بحيث لم تُرَق محجمة دم، ولم يوجد في أحد شيء.

وكانت المِحَفّة محفوفة بالحشم، والوزير، والعسكر، والشمسة[5]، على حاله في حياته، وتقدّم الوزير إلى أمير داذ العسكر بإقامة السياسة، وضبط العسكر، وكانت الخزانة التي في صُحبته ألفَيْ حمل[6] ومائتي حمل[6]؛ وشغَب الغلمان الأتراك الصغار لينهبوا المال، فمنعهم الوزير والأمراء الكبار من المماليك، وهو صونج صهر ألْدِز وغيره، وأمروا كلّ مَن له إقطاعٌ عند قُطب الدّين أيبك مملوك شهاب الدّين ببلاد الهند بالعَود إليه، وفرّقوا فيهم أموالاً كثيرة فعادوا.

---

(١) في الأوربية: «موافقهم».

(٢) الجامع المختصر ٩/ ١٧٠، العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٨، ٢٩٩.

(٣) نهاية الأرب ٢٦/ ١٠٦.

(٤) في العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٩ «خواجا»، ومثله في: نهاية الأرب ٢٦/ ١٠٧.

(٥) في العسجد المسبوك ٢/ ٣٠٠ «الشمسية»، ومثله في: نهاية الأرب ٢٦/ ١٠٧.

(٦) في العسجد المسبوك ٢/ ٣٠٠ «جمل»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ٢٦/ ١٠٧.

وسار الوزير ومعه مَن له إقطاعٌ وأهلٌ بِغَزْنَة، وعلموا أنّه يكون بين غياث الدّين محمود بن غياث الدّين أخي شهاب الدّين الأكبر، وبين بهاء الدّين صاحب باميان، وهو ابن أخت شهاب الدّين، حروب شديدة، وكان ميل الوزير والأتراك وغيرهم إلى غياث الدّين محمود، وكان الأمراء الغُوريّة يميلون إلى بهاء الدّين سام، صاحب باميان، فأرسل كلّ طائفة إلى من يميلون إليه يعرّفونه قتل شهاب الدّين وجليّة الأمور[1].

وجاء بعض المفسدين من أهل غَزْنَة، فقال للمماليك: إنّ فخر الدّين الرازيّ قتل مولاكم لأنّه هو أوْصل من قتله، بوضع من خُوارزم شاه، فثاروا به ليقتلوه، فهرب، وقصد مؤيّد المُلْك الوزير، فأعلمه الحال فسيّره سرّاً إلى مأمنه.

ولمّا وصل العسكر والوزير إلى فَرشابور اختلفوا، فالغُوريّة يقولون نسير إلى غَزْنَة على طريق مكرهان، وكان غرضهم أن يقربوا من باميان ليخرج صاحبها بهاء الدّين سام فيملك الخزانة، وقال الأتراك بل نسير على طريق سوران، وكان مقصودهم أن يكونوا قريباً من تاج الدّين ألْدُز مملوك شهاب الدّين، وهو صاحب كَرمان، مدينة بين غَزْنَةَ ولَهَاوُور، وليست بكَرمان التي تجاور بلاد فارس، ليحفظ ألْدُز الخزانة، ويرسلوا من كَرمان إلى غياث الدّين يستدعونه إلى غزنة ويملّكونه.

وكثُر بينهم الاختلاف، حتّى كادوا يقتتلون[2]، فتوصّل مؤيّد الملك مع الغُوريّة حتّى أذِنوا له وللأتراك بأخذ الخزانة والمِحَفّة التي فيها شهاب الدّين والمسير على كَرمان، وساروا هم على طريق مكرهان، ولَقي الوزير ومَن معه مشقّة عظيمة، وخرج عليهم الأمم الذين في تلك الجبال التيراهيّة وأوغان وغيرهم، فنالوا من أطراف العسكر إلى أن وصلوا إلى كَرمان، فخرج إليهم تاج الدّين ألْدُز يستقبلهم، فلمّا عاين المِحَفّة، وفيها شهاب الدّين ميّتاً، نزل وقبّل الأرض على عادته في حياة شهاب الدّين، وكشف عنه، فلمّا رآه ميّتاً مزّق ثيابه وصاح وبكى فأبكى الناس، وكان يوماً مشهوداً[3].

ذكر ما فعله ألْدُز

كان ألْدُز من أوّل مماليك شهاب الدّين وأكبرهم وأقدمهم، وأكبرهم محلاً

---

(١) العسجد المسبوك ٢/ ٣٠٠.

(٢) في الأوربية: «يختلفون».

(٣) نهاية الأرب ٢٦/ ١٠٧.

عنده، بحيث إنّ أهل شهاب الدّين كانوا يخدمونه ويقصدونه في أشغالهم؛ فلمّا قُتل صاحبه طمع أن يملك غَزْنَة، فأوّل ما عمل أنّه سأل الوزير مؤيّد الملك عن الأموال والسلاح والدّوابّ، فأخبره بما خرج من ذلك وبالباقي معه، فأنكر الحال، وأساء أدبه في الجواب، وقال: إنّ الغُوريّة قد كاتبوا بهاء الدّين سام صاحب باميان ليُملكوه غَزنة، وقد كتب إليّ غِياث الدّين محمود، وهو مولاي، يأمرني أنّني لا أترك أحداً يقرب من غَزْنَة، وقد جعلني نائبَه فيها وفي سائر الولاية المجاورة لها لأنّه مشتغلٌ بأمر خُراسان.

وقال للوزير: إنّه قد أمرني أيضاً أن أتسلّم الخزانة منك؛ فلم يقدر على الامتناع لميل الأتراك إليه، فسلّمها إليه، وسار بالمِحَفّة والمماليك والوزير إلى غزنة، فدُفن شهاب الدّين في التُربة بالمدرسة التي أنشأها ودفن ابنته فيها، وكان وصوله إليها في الثاني والعشرين من شعبان من السنة[1].

ذكر بعض سيرة شهاب الدين

كان، رحمه الله، شجاعاً مِقداماً، كثير الغزو إلى بلاد الهند، عادلاً في رعيّته، حَسَن السيرة فيهم، حاكماً بينهم بما يوجبه الشرع المطهّر، وكان القاضي بغَزْنَة يَحضر داره كلّ أسبوع السبت والأحد والاثنين والثلاثاء، ويحضر معه أمير حاجب، وأمير داذ، وصاحب البريد، فيحكم القاضي، وأصحاب السلطان ينفّذون أحكامه على الصغير والكبير، والشريف والوضيع؛ وإن طلب أحد الخصوم الحضور عنده أحضره وسمع كلامه، وأمضى عليه، أو له، حكم الشرع، فكانت الأمور جارية على أحسن نظام.

حُكي لي عنه أنّه لقيه صبيّ علويّ، عمره نحو خمس سنين، فدعا له، وقال: لي خمسة أيّام ما أكلتُ شيئاً؛ فعاد من الركوب لوقته، ومعه الصبيّ، فنزل في داره، وأطعم العلويّ أطيب الطعام بحضرته، ثمّ أعطاه مالاً، بعد أن أحضر أباه وسلّمه إليه، وفرّق في سائر العلويّين مالاً عظيماً.

وحُكي عنه أنّ تاجراً من مَراغَة كان بغَزْنَة، وله على بعض مماليك شهاب الدّين دينٌ مبلغه عشرة آلاف دينار، فقُتل المملوك في حرب كانت له، فرفع التّاجر حاله،

---

(١) العسجد المسبوك ٢/٣٠١ (باختصار)، نهاية الأرب ٢٦/١٠٧، ١٠٨.

فأمر بأن يقرّ إقطاع المملوك بيد التّاجر إلى أن يستوفي دينه، ففُعل ذلك.

وحُكي عنه أنّه كان يحضر العلماء بحضرته، فيتكلّمون في المسائل الفقهيّة وغيرها، وكان فخر الدّين الرّازيّ يعظ في داره، فحضر يوماً فوعظ، وقال في آخر كلامه: يا سلطان، لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازيّ، وإنّ مردّنا إلى الله! فبكى شهاب الدّين حتّى رحمه الناس لكثرة بكائه.

وكان رقيق القلب، وكان شافعيّ المذهب مثل أخيه[1].

قيل: وكان حنفيّا، والله أعلم.

ذكر مسير بهاء الدين سام إلى غزنة وموته

لمّا ملك غياث الدّين باميان أقطعها ابنَ عمّه شمسَ الدّين محمّد بن مسعود، وزوّجه أخته، فأتاه منها ولدٌ اسمه سام، فبقي فيها إلى أن تُوفّي، وملك بعده ابنه الأكبر، واسمه عبّاس، وأمّه تركيّة، فغضب غياث الدّين وأخوه شهاب الدّين من ذلك، وأرسلا مَن أحضر عبّاساً عندهما، فأخذا الملك منه، وجعلا ابن أختهما سام ملكاً على باميان، وتلقّب بهاء الدّين، وعظُم شأنه ومحلّه، وجمع الأموال ليملك البلاد بعد خاليه، وأحبّه الغوريّة حبّاً شديداً وعظّموه.

فلمّا قُتل خاله شهاب الدّين سار بعض الأمراء الغوريّة إلى بهاء الدّين سام فأخبره بذلك، فلمّا بلغه قتله كتب إلى مَن بغَزْنَة من الأمراء الغُوريّة يأمرهم بحفظ البلد، ويعرّفهم أنّه على الطريق سائر إليهم.

وكان والي قلعة غَزْنَة، ويُعرف بأمير داذ، قد أرسل ولدَه إلى بهاء الدّين سام يستدعيه إلى غَزْنَة، فأعاد جوابه أنّه تجهّز، ويصل إليه، ويعده الجميل والإحسان.

وكتب بهاء الدّين إلى علاء الدّين محمّد بن أبي عليّ ملك الغُور يستدعيه إليه؛ وإلى غياث الدّين محمود بن غياث الدّين، وإلى ابن خرميل، والي هَراة، يأمرهما بإقامة الخطبة له، وحفظ ما بأيديهما من الأعمال، ولم يظنّ أنّ أحداً يخالفه، فأقام أهل غَزْنَة ينتظرون وصوله، أو وصول غياث الدّين محمود، والأتراك، ويقولون: لا نترك غيرَ ابن سيدنا، يعنون غياث الدّين، يدخل غَزْنة.

والغوريّة يتظاهرون بالميل إلى بهاء الدّين ومنع غيره، فسار من باميان إلى غَزنة

---

(١) نهاية الأرب ٢٦/١٠٦، ١٠٧.

في عساكره، ومعه ولداه علاء الدّين محمّد وجلال الدّين، فلمّا سار عن باميان مرحلتَيْن وجد صُداعاً، فنزل يستريح، ينتظر خفّته عنه، فازداد الصُّداع، وعظُم الأمر عليه، فأيقن بالموت، فأحضر ولدَيْه، وعهد إلى علاء الدّين، وأمرهما بقصد غَزنة، وحفظ مشايخ الغُوريّة، وضبط الملك، وبالرفق بالرعايا، وبذل الأموال، وأمرهما أن يصالحا غياث الدّين على أن يكون له خُراسان وبلاد الغُور، ويكون لهما غَزْنَة وبلاد الهند[1].

ذكر مُلك علاء الدّين غَزْنَة وأخذها منه

لمّا فرغ بهاء الدّين من وصيّته تُوفّي، فسار[2] ولداه إلى غَزْنَة، فخرج أمراء الغُوريّة وأهل البلد فلقوهما، وخرج الأتراك معهم على كرهٍ منهم، ودخلوا البلد وملكوه، ونزل علاء الدّين وجلال الدّين دار السلطنة مستهلّ رمضان، وكانوا قد وصلوا في ضرّ وقلّة من العسكر، وأراد الأتراك منعهم، فنهاهم مؤيّد المُلك وزير شهاب الدّين لقلّتهم، ولاشتغال غياث الدّين بابن خرميل[3]، والي هَرَاة، على ما نذكره، فلم يرجعوا عن ذلك.

ولمّا استقرّا بالقلعة، ونزلا بدار السلطانيّة، راسلهما الأتراك بأن يخرجا من الدّار وإلاّ قاتلوهما، ففرّقا فيهم أموالاً كثيرة، واستحلفاهم فحلفوا، واستثنوا غياث الدّين محموداً[4]، وأنفذا خِلعاً إلى تاج الدّين ألْدُز، وهو بإقطاعه مع رسول، وطلباه إلى طاعتهما، ووعداه بالأموال والزيادة في الإقطاع، وإمارة الجيش، والحكم في جميع الممالك؛ فأتاه الرسول فلقيه وقد سار عن كَرمان في جيش كثير من التُّرْك والخُلج والغُزّ وغيرهم يريد غَزْنَة، فأبلغه الرسالة، فلم يلتفت إليه، وقال له: قل لهما أن يعودا إلى باميان، وفيها كفاية، فإنّي قد أمرني مولاي غياث الدّين أن أسير إلى غَزْنَة وأمنعهما عنها، فإن عادا إلى بلدهما، وإلاّ فعلتُ بهما وبمن معهما ما يكرهون.

وردّ ما معهما من الهدايا والخِلع، ولم يكن قصد ألْدُز بهذا حفظ بيت صاحبه، وإنّما أراد أن يجعل هذا طريقاً إلى مُلك غَزْنَة لنفسه.

---

(١) العسجد المسبوك ٢/ ٣٠٠، ٣٠١، نهاية الأرب ٢٦/ ١٠٨.

(٢) في الأوربية: «فسارا».

(٣) في نهاية الأرب ٢٦/ ١٠٩ «حرميل» بالحاء المهملة.

(٤) في الأوربية: «محمود».

فعاد الرسول وأبلغ علاء الدّين رسالة ألْدُز، فأرسل وزيره، وكان قبله وزير أبيه، إلى باميان وبلْخ وترمِذ وغيرها من بلادهم، ليجمع العساكر ويعود إليه، فأرسل ألْدُز إلى الأتراك الذين بغَزنة يعرّفهم أنّ غياث الدّين أمره أن يقصد غَزْنَة ويُخرج علاء الدّين وأخاه منها، فحضروا عند ابن وزير علاء الدّين، وطلبوا منه سلاحاً، ففتح خزانة السلاح، وهرب ابن الوزير إلى علاء الدّين وقال له: قد كان كذا وكذا؛ فلم يقدر [أن] يفعل شيئاً.

وسمع مؤيّد المُلك، وزير شهاب الدّين، فركب وأنكر على الخازن تسليم المفاتيح، وأمره فاستردّ[1] ما نهبه التُرك جميعه، لأنّه كان مطاعاً فيهم.

ووصل ألْدُز إلى غَزْنَة، فأخرج إليه علاء الدّين جماعة من الغُوريّة ومن الأتراك، وفيهم صونج صهر ألْدُز، فأشار عليه أصحابه أن لا يفعل، وينتظر العسكر مع وزيره، فلم يقبل منهم، وسيّر العساكر، فالتقوا خامس رمضان، فلمّا لقوه خدمه الأتراك وعادوا معه على عسكر علاء الدّين فقاتلوهم فهزموهم وأسروا مقدّمهم، وهو محمّد بن عليّ بن حردون[2]، ودخل عسكر ألْدُز المدينة فنهبوا بيوت الغُوريّة والباماميّة، وحصر ألْدُز القلعة، فخرج جلال الدّين منها في عشرين فارساً، وسار عن غَزْنَة، فقالت له امرأة تستهزىء به: إلى أين تمضي؟ خُذ الجتْر والشمسة معك! ما أقبح خروج السلاطين هكذا! فقال لها: إنّك سترين ذلك اليوم، وأفعل بكم ما تقرّون به بالسلطنة لي.

وكان قد قال لأخيه: احفظ القلعة إلى أن آتيك بالعساكر؛ فبقي ألْدُز يحاصرها، وأراد مَن مع ألْدُز نهب البلد، فنهاهم عن ذلك، وأرسل إلى علاء الدّين يأمره بالخروج من القلعة، ويتهدّده إن لم يخرج منها، وتردّدت الرسل بينهما في ذلك، فأجاب إلى مفارقتها والعَود إلى بلده، وأرسل مَن حلّف له ألْدُز أن لا يؤذيه، ولا يتعرّض له، ولا لأحدٍ ممّن يحلف له.

وسار عن غَزنة، فلمّا رآه ألْدُز وقد نزل من القلعة عدل إلى تربة شهاب الدّين مولاه، ونزل إليها، ونهب الأتراك ما كان مع علاء الدّين، وألقوه عن فرسه، وأخذوا ثيابه، وتركوه عرياناً بسراويله[3].

---

(١) في الأوربية: «واستردّ».

(٢) في (أ): «خررون».

(٣) في الأوربية: «بسرويله».

فلمّا سمع ألْدُز ذلك أرسل إليه بدوابّ وثياب ومال، واعتذر إليه، فأخذ ما لبسه وردّ الباقي، فلمّا وصل إلى باميان لبس ثياب سوادي، وركب حماراً، فأخرجوا له مراكب ملوكيّة، وملابس جميلة، فلم يركب، ولم يلبس، وقال: أريد[أن] يراني الناس وما صنع بي أهل غَزْنَة، حتّى إذا عُدتُ إليها وخرّبتُها ونهبتُها لا يلومني أحد. ودخل دار الإمارة وشرع في جمع العساكر[1].

ذكر مُلك ألْدُز غَزْنَة

قد ذكرنا استيلاء ألْدُز على الأموال والسلاح والدّوابّ وغير ذلك ممّا كان صُحبة شهاب الدّين وأخذه من الوزير مؤيّد المُلك، فجمع به العساكر من أنواع الناس، الأتراك والخُلج والغُزّ وغيرهم، وسار إلى غَزْنَة وجرى له مع علاء الدّين ما ذكرنا.

فلمّا خرج علاء الدّين من غَزْنَة أقام ألْدُز بداره أربعة أيّام يُظهر طاعة غياث الدّين، إلاّ أنّه لم يأمر الخطيب بالخطبة له ولا لغيره، وإنّما يخطب للخليفة، ويترحّم على شهاب الدّين الشهيد حسبُ.

فلمّا كان في اليوم الرابع أحضر مقدّمي الغُوريّة والأتراك، وذمّ مَن كاتب علاء الدّين وأخاه[2]، وقبض على أمير داذ والي غَزْنَة.

فلمّا كان الغد، وهو سادس عشر رمضان، أحضر القضاة والفقهاء والمقدّمين، وأحضر أيضاً رسول الخليفة، وهو الشيخ مجد الدّين أبو عليّ[3] بن الربيع، الفقيه الشافعيّ مُدرّس النظاميّة ببغداد، وكان قد ورد إلى غَزْنَة رسولاً إلى شهاب الدّين، فقُتل شهاب الدّين وهو بغَزْنَة، فأرسل إليه وإلى قاضي غَزْنَة يقول له: إنّني أريد [أن] أنتقل إلى دار السلطانيّة، وأن أخاطَب بالملك، ولا بُدّ من حضورك؛ والمقصود من هذا أن تستقرّ أمور الناس، فحضر عنده، فركب ألْدُز، والناس في خدمته، وعليه ثياب الحُزن، وجلس في الدّار في غير المجلس[4] الذي كان يجلس فيه شهاب الدّين، فتغيّرت لذلك نيّات كثير من الأتراك، لأنّهم كانوا يطيعونه ظنّاً منهم أنّه يريد الملك لغياث الدّين، فحيث رأوه يريد الانفراد تغيّروا عن طاعته، حتى إنّ بعضهم بكى غيظاً

---

(١) الخبر باختصار شديد في: العسجد المسبوك ٢/٣٠١، وهو في: نهاية الأرب ٢٦/١٠٩، ١١٠.
(٢) في (أ): «وأباه».
(٣) في (أ) زيادة: «أبو علي يحيى».
(٤) في الأوربية: «مجلس».

من فعله؛ وأقطع الإقطاعات[1] الكثيرة، وفرّق الأموال الجليلة.

وكان عند شهاب الدّين جماعة من أولاد ملوك الغُور وسَمَرْقَند وغيرهم، فأنِفُوا من خدمة ألْدُز، وطلبوا منه أن يقصد خدمة غياث الدّين، فأذِن لهم، وفارقه كثير من أصحابه إلى غياث الدّين وإلى علاء الدّين وأخيه صاحبَيْ باميان، وأرسل غياث الدّين إلى ألْدُز يشكره، ويثني عليه لإخراج أولاد بهاء الدّين من غَزْنَة، وسيّر له الخِلع، وطلب منه الخطبة والسكّة، فلم يفعل، وأعاد الجواب فغالطه، وطلب منه أن يخاطبه بالملك، وأن يعتقه من الرقّ لأنّ غياث الدّين ابن أخي سيّده لا وارث له سواه، وأن يزوّج ابنه بابنة ألْدُز، فلم يُجِبه إلى ذلك[2].

واتّفق أنّ جماعة من الغُوريّين، من عسكر صاحب باميان، أغاروا على أعمال كَرمان وسوران، وهي أقطاع ألْدُز القديمة، فغنموا، وقتلوا، فأرسل صهره صونج في عسكر، فلقوا عسكر الباميان فظفر بهم، وقتل منهم كثيراً، وأنفذ رؤوسهم إلى غَزْنَة فنُصبت بها.

وأجرى ألْدُز في غَزْنَة رسوم شهاب الدّين، وفرّق في أهلها أموالاً جليلة المقدار، وألزم مؤيد الملك أن يكون وزيراً له، فامتنع من ذلك، فألحّ عليه، فأجابه على كُرْهٍ منه، فدخل على مؤيّد الملك صديقٌ له يهنّئه، فقال: بماذا تهنّئني؟ من بعد ركوب الجواد بالحِمار؟ وأنشد:

ومَـــن ركــبَ الثّــورَ بعــدَ الجَــوا دِ أنكـــرَ إطـــلاقَـــه والغَبَـــبْ

بينا ألْدُز يأتي إلى بابي ألف مرّة حتّى آذن له في الدخول أُصبح على بابه! ولولا حفظ النفس مع هؤلاء الأتراك لكان لي حكمٌ آخر.

ذكر حال غياث الدّين بعد قتل عمّه

وأمّا غياث الدّين محمود بن غياث الدّين فإنّه كان في إقطاعه، وهو بُست وأسفزار، لمّا قُتل عمّه شهاب الدّين، وكان الملك علاء الدّين بن محمّد بن أبي عليّ قد ولاّه شهاب الدّين بلاد الغُور وغيرها من أرض الراون[3]، فلمّا بلغه قتله سار إلى

(١) في الأوربية: «الإقطعات».
(٢) نهاية الأرب ٢٦/ ١١٠، ١١١.
(٣) في (أ): «الداون»، وفي (ب): «الدوان».

فِيروزكوه خوفاً أن يسبقه إليها غياث الدّين فيملك البلد ويأخذ الخزائن التي بها.

وكان علاء الدّين حسنَ السيرةِ من أكابر بيوت الغُوريّة، إلاّ أنّ الناس كرهوه لميلهم إلى غياث الدّين، وأنِف الأمراء من خدمته مع وجود ولد غياث الدّين سلطانهم، ولأنّ كان كرّامياً مُغاليّاً في مذهبه، وأهل فِيروزكوه شافعيّة، وألزمهم أن يجعلوا الإقامة مَثْنَى؛ فلمّا وصل إلى فِيروزكوه أحضر جماعة من الأمراء منهم: محمّد المرغنيّ وأخوه، ومحمّد بن عثمان، وهم من أكابر الأمراء، وحلّفهم على مساعدته على قتال خُوارزم شاه وبهاء الدّين، صاحب باميان، ولم يذكر غياث الدّين احتقاراً له، فحلفوا له ولولده من بعده.

وكان غياث الدّين بمدينة بُست لم يتحرّك في شيء انتظاراً لما يكون من صاحب باميان، لأنّهما كانا قد تعاهدا أيّام شهاب الدّين أن تكون خُراسان لغياث الدّين وغَزنة والهند لبهاء الدّين، وكان بهاء الدّين صاحب باميان بعد موت شهاب الدّين أقوى منه، فلهذا لم يفعل شيئاً؛ فلمّا بلغه خبر موت بهاء الدّين جلس على التَّخْت، وخطب لنفسه بالسلطنة عاشر رمضان، وحلّف الأمراء الذين قصدوه، وهم إسمعيل الخلجيّ، وسونج أمير أشكار[1]، وزنكي بن خرجوم[2]، وحسين الغوريّ صاحب تكياباذ[3] وغيرهم، وتلقّب بألقاب أبيه «غياث الدّنيا والدّين»، وكتب إلى علاء الدّين محمّد بن أبي عليّ وهو بفِيروزكوه يستدعيه إليه، ويستعطفه ليصدر عن رأيه، ويسلّم مملكته إليه؛ وكتب إلى الحسين بن خرميل[4]، والي هراة، مثل ذلك أيضاً، ووعده الزيادة في الإقطاع.

فأمّا علاء الدّين فأغلظ له في الجواب، وكتب إلى الأمراء الذين معه يتهدّدهم، فرحل غياث الدّين إلى فِيروزكوه، فأرسل علاء الدّين عسكراً مع ولده، وفرّق فيهم مالاً كثيراً، وخلع عليهم ليمنعوا غياث الدّين، فلقوه قريباً من فِيروزكوه، فلمّا تراءى الجمعان كشف إسمعيل الخلجيّ المِغفَر عن وجهه وقال: الحمد لله إذ الأتراك الذين لا يعرفون آباءهم[5] لم يضيّعوا حقّ التربية[6]، وردّوا ابن ملك باميان، وأنتم مشايخ

---

(١) في الباريسية: «شكا»، وفي النسخة رقم ٧٤٠ «سكار»، وفي (أ): «شكار» وهو الصحيح.

(٢) في الباريسية والنسخة رقم ٧٤٠ «حرحوم».

(٣) في الأصل مهملة: «بكاباد»، وفي نهاية الأرب ٢٦/ ٢١٨ «تكيناباد».

(٤) في نهاية الأرب ٢٦/ ١١٢ «حرميل» بالحاء المهملة.

(٥) في نهاية الأرب ٢٦/ ١١٣ «لم يعرفوا أباهم».

(٦) في العسجد المسبوك ٢/ ٣٠٣ نقص واضطراب لم يلحظه محقّقه.

الغُوريّة الذين أنعم عليكم والدُ هذا السلطان، وربّاكم، وأحسن إليكم كفرتم الإحسان، وجئتم تقاتلون ولده، أهذا فِعل الأحرار؟

فقال محمّد المَرغنيّ، وهو مقدّم العسكر الذين يصدرون عن رأيه: لا والله! ثمّ ترجّل عن فرسه، وألقى سلاحه، وقصد غياث الدّين، وقبّل الأرض بين يديه، وبكى بصوت عالٍ، وفعل سائر الأمراء كذلك، فانهزم أصحاب علاء الدّين مع ولده.

فلمّا بلغه الخبر خرج عن فِيروزكوه هارباً نحو الغُور، وهو يقول: أنا أمشي أجاور بمكّة؛ فأنفذ غياث الدّين خلفه مَن ردّه إليه، فأخذه وحبسه، وملك فِيروزكوه، وفرح به أهل البلد، وقبض غياث الدّين على جماعة من أصحاب علاء الدّين الكرّاميّة، وقتل بعضهم.

ولمّا دخل غياث الدّين فيروزكوه ابتدأ بالجامع فصلّى فيه، ثمّ ركب إلى دار أبيه فسكنها، وأعاد رسوم أبيه، واستخدم حاشيته، وقدم عليه عبد الجبّار بن محمّد الكيرانيّ[1]، وزير أبيه، واستوزره، وسلك طريق أبيه في الإحسان والعدل.

ولمّا فرغ غياث الدّين من علاء الدّين لم يكن له همّة إلاّ ابن خرميل بهراة واجتذابه إلى طاعته، فكاتبه وراسله، واتّخذه أباً، واستدعاه إليه[2].

وكان ابن خرميل قد بلغه موت شهاب الدّين ثامن رمضان، فجمع أعيان الناس، منهم: قاضي هَرَاة صاعد بن الفضل السّيّاري، وعليُّ بن عبد الخلاّق بن زياد مدرّس النظاميّة بهراة، وشيخ الإسلام رئيس هَرَاة، ونقيب العلويّين ومقدّمي المحالّ، وقال لهم: قد بلغني وفاة السلطان شهاب الدّين وأنا في نحر خُوارزم شاه، وأخاف الحصار، وأريد أن تحلفوا لي على المساعدة على كلّ من نازعني. فأجابه القاضي وابن زياد: إنّنا نحلف على كلّ الناس إلاّ ولد غياث الدّين؛ فحقدها عليهما، فلمّا وصل كتاب غياث الدّين خاف ميل الناس إليه، فغالطه في الجواب[3].

وكان ابن خرميل قد كاتب خُوارزم شاه يطلب منه أن يرسل إليه عسكراً ليصير في طاعته ويمتنع به على الغُوريّة، فطلب منه خُوارزم شاه إنفاذ ولده رهينةً، ويرسل إليه عسكراً، فسيّر ولده إلى خُوارزم شاه، فكتب خُوارزم شاه إلى عسكره الذين

---

(١) في العسجد المسبوك ٢/٣٠٣ «الكيداني» بالدال.

(٢) نهاية الأرب ٢٦/١١١ ـ ١١٣.

(٣) العسجد المسبوك ٢/٣٠٣ باختصار.

بنَيسابور وغيرها من بلاد خُراسان يأمرهم بالتّوجّه إلى هَرَاة، وأن يكونوا يتصرّفون بأمر ابن خرميل ويمتثلون أمره.

هذا وغياث الدّين يُتابع الرُّسل إلى ابن خرميل، وهو يحتجّ بشيء بعد شيء انتظاراً لعسكر خُوارزم شاه، ولا يؤيسه من طاعته، ولا يخطب له ويطيعه طاعة غير مستوية.

ثمّ إنّ الأمير عليّ بن أبي عليّ، صاحب كالوين، أطلع غياث الدّين على حال ابن خرميل، فعزم غياث الدّين على التّوجّه إلى هراة، فثبّطه بعض الأمراء الذين معه، وأشاروا عليه بانتظار آخر أمره وترك محاقّته.

واستشار ابن خرميل النّاس في أمر غياث الدّين، فقال له عليُّ بن عبد الخلّاق بن زياد، مدرّس النظاميّة بهراة، وهو متولّي وقوف خُراسان التي بيد الغوريّة جميعها: ينبغي أن تخطب للسلطان غياث الدّين، وتترك المغالطة؛ [فأجابه]: إنّني أخافه على نفسي، فامض أنت وتوثّق لي منه.

وكان قصده أن يُبْعده عن نفسه، فمضى برسالته إلى غياث الدّين، وأطلعه على ما يريد ابن خرميل بفعله من الغدر به، والميل إلى خُوارزم شاه، وحثّه على قصد هَرَاة، وقال له: أنا أُسلّمها إليك ساعة تصل إليها؛ ووافقه بعض الأمراء، وخالفه غيرهم، وقال: ينبغي أن لا تترك له حجّة، فترسل إليه تقليداً بولاية هراة؛ ففعل ذلك، وسيّره مع ابن زياد وبعض أصحابه.

ثمّ إنّ غياث الدّين كاتب أميران بن قيصر، صاحب الطالقان، يستدعيه إليه، فتوقّف؛ وأرسل إلى صاحب مَرْوَ ليسير إليه، فتوقّف أيضاً، فقال له أهل البلد: إن لم تُسلم البلد إلى غياث الدّين، وتتوجّه إليه، وإلاّ سلّمناك، وقيّدناك، وأرسلناك إليه؛ فاضطرّ إلى المجيء إلى فِيروزكوه، فخلع عليه غياث الدّين، وأقطعه إقطاعاً، وأقطع الطالقان سونج مملوك أبيه المعروف بأمير أشكار.

ذكر استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغُوريّة بخراسان

قد ذكرنا مكاتبة الحسين بن خَرميل، والي هَرَاة، خُوارزم شاه، ومراسلته في الانتماء إليه والطاعة له، وترك طاعة الغوريّة، وخداعه لغياث الدّين، ومغالطته له بالخطبة له والطاعة، انتظاراً لوُصول عسكر خُوارزم شاه، ووصول رسول غياث الدّين وابن زياد بالخِلع إلى ابن خرميل، فلمّا وصلت الخِلع إليه لبسها هو وأصحابه، وطالبه

رسول غياث الدّين بالخطبة، فقال: يوم الجمعة نخطب له.

فاتّفق قرب عسكر خُوارزم شاه منهم، فلمّا كان يوم الجمعة قيل له في معنى الخطبة، فقال: نحن في شُغُل أهمّ منها بوصول هذا العدوّ، فطالت المجادلات بينهم في ذلك، وهو مُصِرّ على الامتناع منها، ووصل عسكر خُوارزم شاه، فلقيهم ابن خرميل، وأنزلهم على باب البلد، فقالوا له: قد أمَرَنا خُوارزم شاه أن لا نخالف لك أمراً؛ فشكرهم على ذلك؛ وكان يخرج إليهم كلّ يوم، وأقام لهم الوظائف الكثيرة.

وأتاه الخبر أنّ خُوارزم شاه نزل على بلْخ فحاصرها[1]، فلقيه صاحبها، وقاتله بظاهر البلد، فلم ينزل بالقرب منها، فنزل على أربعة فراسخ، فندم ابن خرميل على طاعة خُوارزم شاه، وقال لخواصّه: لقد أخطأنا حيث صرنا مع هذا الرجل، فإنّني أراه عاجزاً.

وشرع في إعادة العسكر، فقال للأمراء: إنّ خُوارزم شاه قد أرسل إلى غياث الدّين يقول له: إنّني على العهد الذي بيننا، وأنا أترك ما كان لأبيك بخُراسان؛ والمصلحة أن ترجعوا حتّى ننظر ما يكون. فعادوا، وأرسل إليهم الهدايا الكثيرة.

وكان غياث الدّين حيث اتّصل به وصول عسكر خُوارزم شاه إلى هراة، فأخذ إقطاع ابن خرميل وأرسل إلى كُرزُبان وأخذ كلّ ما له بها من مال، وأولاد، ودوابّ، وغير ذلك، وأخذ أصحابه في القيود، وأتاه كتب من يميل إليه من الغُوريّة يقولون له: إن رآك غياث الدّين قتلك.

ولمّا سمع أهل هَرَاة بما فعل غياث الدّين بأهل ابن خرميل وماله عزموا على قبضه والمكاتبة إلى غياث الدّين بإنفاذ مَن يتسلّم البلد، وكتب القاضي صاعد، قاضي هَرَاة، وابن زياد إلى غياث الدّين بذلك؛ فلمّا سمع ابن خرميل بما فعله غياث الدّين بأهله، وبما عزم عليه أهل هَرَاة، خاف أن يعاجلوه بالقبض، فحضر عند القاضي، وأحضر أعيان البلد، وألان لهم القول، وتقرّب إليهم، وأظهر طاعة غياث الدّين، وقال: قد رددت[2] عسكر خُوارزم شاه، وأريد [أن] أُرسل رسولاً إلى غياث (الدّين بطاعتي)[3]، والذي أوثره منكم أن تكتبوا معه كتاباً بطاعتي. فاستحسنوا قوله، وكتبوا

---

(١) العسجد المسبوك ٢/٣٠٣ باختصار شديد.

(٢) في (أ): «وردت».

(٣) من (ب).

له بما طلب، وسيّر رسوله إلى فِيروزكوه، وأمره، إذا جنّه الليل، أن يرجع على طريق نَيسابور يلحق عسكر خُوارزم شاه ويجدّ السير، فإذا لحِقهم ردّهم إليه.

ففعل الرسول ما أمره، ولحِق العسكر على يومَيْن من هَراة، فأمرهم بالعَود، فعادوا، فلمّا كان اليوم الرابع من سير الرسول وصلوا إلى هَراة والرسول بين أيديهم، فلقيهم ابن خرميل، وأدخلهم البلد والطبول تضرب بين أيديهم، فلمّا دخلوا أخذ ابن زياد الفقيه فسَمَله، وأخرج القاضي صاعداً من البلد، فسار إلى غياث الدّين بفِيروزكوه، وأخرج مَن عنده من الغُوريّة، وكلّ مَن يعلم أنّه يريدهم، وسلّم أبواب البلد إلى الخُوارزميّة.

وأمّا غياث الدّين فإنّه برز عن فِيروزكوه نحو هَرَاة، وأرسل عسكراً، فأخذوا جَشيراً[1] كان لأهل هراة، فخرج الخُوارزميّة، فشنّوا الغارة على هَرَاة الرُّوذ وغيرها، فأمر غياث الدّين عسكره بالتّقدّم إلى هَرَاة، وجعل المقدّم عليهم عليّ بن أبي عليّ، وأقام هو بفِيروزكوه لمّا بلغه أن خُوارزم شاه على بلْخ، فسار العسكر وعلى يَزَكه الأمير أميران بن قيصر الذي كان صاحب الطّالقان، وكان منحرفاً عن غياث الدّين حيث أخذ منه الطالقان، فأرسل إلى ابن خرميل يعرّفه أنّه على اليَزَك، ويأمره بالمجيء إليه، فإنّه لا يمنعه، وحلف له على ذلك.

فسار ابن خرميل في عسكره، فكبس عسكر غياث الدّين، فلم يلحقوا يركبون خيولهم حتّى خالطوهم، فقتلوا فيهم، فكفّ ابن خرميل أصحابه عن الغُوريّة خوفاً أن يهلكوا، وغنم أموالهم وأسر إسمعيل الخلجيّ، وأقام بمكانه، وأرسل عسكره فشنّوا الغارة على البلاد باذغِيس[2] وغيرها.

وعظُم الأمر على غياث الدّين، فعزم على المسير إلى هَرَاة بنفسه، فأتاه الخبر أنّ علاء الدّين، صاحب باميان، قد عاد إلى غَزنة على ما نذكره، فأقام ينتظر ما يكون منهم ومن ألْدُز.

وأمّا بلْخ فإن خُوارزم شاه لمّا بلغه قتل شهاب الدّين أخرج مَن كان عنده من الغُوريّين الذين كان أسرهم في المصافّ على باب خُوارزم، فخلع عليهم، وأحسن

---

(١) في طبعة صادر ٢٢٨/١٢ «حشيراً» بالحاء المهملة. والصحيح ما أثبتناه. والجشير هي الدّوابّ التي ترعى لوحدها.

(٢) في الأوروبية: «بادغيس».

إليهم، وأعطاهم الأموال، وقال: إنّ غياث الدّين أخي، ولا فرق بيني وبينه، فمَن أحبّ منكم المقام عندي فليقُم، ومَن أحبّ أن يسير إليه فإنّني أسيّره، ولو أراد منّي مهما أراد نزلتُ له عنه.

وعهد إلى محمّد بن عليّ بن بشير، وهو من أكابر الأمراء الغُوريّة، فأحسن إليه، وأقطعه استمالة للغوريّة، وجَعله سفيراً بينه وبين صاحب بلْخ، فسيّر أخاه عليّ شاه بين يديه في عسكره إلى بلْخ، فلمّا قاربها خرج إليه عماد الدّين عمر بن الحسين الغُوريّ أميرها، فدفعه عن النزول عليها، فنزل على أربعة فراسخ عنها، فأرسل إلى أخيه خُوارزم شاه يُعلمه قوّتهم، فسار إليها في ذي القعدة من السنة، فلمّا وصل إلى بلْخ خرج صاحبها فقاتلهم، فلم يقوَ بهم لكثرتهم، فنزلوا فصار يوقع بهم ليلاً، فكانوا معه على أقبح صورة، فأقام صاحب بلْخ محاصراً، وهو ينتظر المدد من أصحابه أولاد بهاء الدّين، صاحب باميان، وكانوا قد اشتغلوا عنه بغَزْنَة على ما نذكره.

فأقام خُوارزم شاه على بلْخ أربعين يوماً، كلّ يوم يركب إلى الحرْب، فيُقتل من أصحابه كثير، ولا يظفر بشيء، فراسل صاحبها عماد الدّين مع محمّد بن عليّ بن بشير الغُوريّ في بذلٍ بذله له ليُسلم إليه البلد، فلم يُجبه إلى ذلك، وقال: لا أسلم البلد إلاّ إلى أصحابه؛ فعزم على المسير إلى هَرَاة، فلمّا سار أصحابه أولاد بهاء الدّين، صاحب باميان، إلى غَزْنَة، المرّة الثانية، على ما نذكره إن شاء الله تعالى، وأسرهم تاج الدّين ألْدُز، عاد عن ذلك العزم، وأرسل محمّد بن عليّ بن بشير إلى عماد الدّين نائبه يعرّفه حال أصحابه وأسرهم، وأنّه لم يبق عليه حجّة، ولا له في التّأخّر عنه عذر، فدخل إليه، ولم يزل يخدعه تارة يرغّبه، وتارة يرهبه، حتّى أجاب إلى طاعة خُوارزم شاه والخطبة له، وذكر اسمه على السكّة، وقال: أنا أعلم أنّه لا يفي لي؛ فأرسل مَن يستحلفه[1] على ما أراد، فتمّ الصلح، وخرج إلى خُوارزم شاه، فخلع عليه، وأعاده إلى بلده، وكان سلخ ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّمائة[2].

ثمّ سار خُوارزم شاه إلى كُرْزُبان ليحاصرها، وبها عليّ بن أبي عليّ، وأرسل إلى غياث الدّين يقول: إنّ هذه كان قد أقطعها عمّك لابن خَرميل، فتنزل عنها؛ فامتنع، وقال: بيني وبينكم السيف؛ فأرسل إليه خُوارزم شاه مع محمّد بن عليّ بن بشير

---

(١) في (أ): «استحلفه».

(٢) العسجد المسبوك ٢/ ٣٠٣ باختصار شديد.

فرغّبه، وآيسه من نجدة غياث الدّين، ولم يزل به حتّى نزل عنها وسلّمها، وعاد إلى فيروزكوه، فأمر غياث الدّين بقتله، فشفع فيه الأمراء، فتركه، وسلّم خُوارزم شاه كُرْزُبان إلى ابن خرميل، ثمّ أرسل إلى عماد الدّين، صاحب بلْخ، يطلبه إليه، ويقول: قد حضر مهمّ ولا غنى عن حضورك، فأنت اليوم من أخصّ أوليائنا؛ فحضر عنده، فقبض عليه وسيّره إلى خُوارزم، ومضى هو إلى بلْخ، فأخذها واستناب بها جعفراً[1] التركيّ.

ذكر مُلك خُوارزم شاه ترمذ وتسليمها إلى الخطا

لمّا أخذ خُوارزم شاه مدينة بلْخ سار عنها إلى مدينة تِرمذ مُجِدّاً، وبها ولد عماد الدّين كان صاحب بلْخ، فأرسل إليه محمّد بن عليّ بن بشير يقول له: إنّ أباك قد صار من أخصّ أصحابي وأكابر أمراء دولتي، وقد سلّم إليّ بلْخ، وإنّما ظهر لي منه ما أنكرتُه، فسيّرتُه إلى خُوارزم مكرّماً محترماً، وأمّا أنت فتكون عندي أخاً.

ووعده، وأقطعه الكثير، فخدعه محمّد بن عليّ، فرأى صاحبها أنّ خُوارزم شاه قد حصره من جانب والخطا قد حصروه من جانب آخر، وأصحابه قد أسرهم ألْدُز بغَزْنَة، فضعُفت نفسه، وأرسل مَن يستحلف له خُوارزم شاه، فحلف له، وتسلّم منه تِرْمِذ وسلّمها إلى الخطا، فلقد اكتسب بها خُوارزم شاه سُبّة عظيمة، وذكراً قبيحاً[2] في عاجل الأمر؛ ثم ظهر للناس، بعد ذلك، أنّه إنّما سلّمها إليهم ليتمكّن بذلك من مُلك خُراسان، ثمّ يعود إليهم فيأخذها وغيرها منهم، لأنّه لمّا ملك خُراسان وقصد بلاد الخطا وأخذها وأفناهم علم الناس أنّه فعل ذلك خديعةً ومكراً، غفر الله له[3].

ذكر عود أولاد صاحب باميان إلى غَزْنَة

قد ذكرنا قبلُ وصول ألْدُز التُركي إلى غَزْنة، وإخراجَه علاء الدّين وجلال الدّين ولدَيْ بهاء الدّين سام، صاحب باميان، منها، بعد أن ملكها، وأقام هو في غَزْنة مِن عاشر رمضان سنة اثنتين وستّمائة إلى خامس ذي القعدة السنة، يحسن السيرة، ويعدل في الرعيّة، وأقطع البلاد للأجناد، فبعضهم أقام، وبعضهم سار إلى غياث الدّين

---

(١) في (أ): «جفر»، وفي (ب): «حفر»، وفي الأوربية: «جعفر».

(٢) في (أ) زيادة: «وعقاباً عظيماً».

(٣) العسجد المسبوك ٢/٣٠٣، ٣٠٤ باختصار؛ المختار من تاريخ ابن الجزري ٩٠.

بفيروزكوه، وبعضهم سار إلى علاء الدّين، صاحب باميان، ولم يخطب لأحد، ولا لنفسه، وكان يَعِد الناس بأنّ رسولي عند مولاي غياث الدّين، فإذا عاد خطبتُ له؛ ففرح الناس بقوله.

وكان يفعل ذلك مَكراً وخديعةً بهم وبغياث الدّين، لأنّه لو لم يُظهر ذلك لفارقه أكثر الأتراك وسائر الرعايا، وكان حينئذٍ يضعُف عن مقاومة صاحب باميان، فكان يستخدم الأتراك وغيرهم بهذا القول وأشباهه.

فلمّا ظفر بصاحب باميان، على ما نذكره، أظهر ما كان يُضمره؛ فبينما هو في هذا أتاه الخبر بقرب علاء الدّين وجلال الدّين ولدَيْ بهاء الدّين، صاحب باميان، في العساكر الكثيرة، وأنّهم قد عزموا على نهب غَزْنة، واستباحة الأموال والأنفس، فخاف الناس خوفاً شديداً، وجهّز ألْدُز كثيراً من عسكره وسيّرهم إلى طريقهم، فلقوا أوائل العسكر، فقُتل من الأتراك [جماعة]، وأدركهم العسكر، فلم يكن لهم قوّة بهم، فانهزموا، وتبِعهم عسكر علاء الدّين يقتلون ويأسرون، فوصل المنهزمون إلى غَزْنَة، فخَرج عنها ألْدُز منهزماً يطلب بلده كَرمان، فأدركه بعض عسكر باميان، نحو ثلاثة آلاف فارس، فقاتلهم قتالاً شديداً، فردّهم عنه، وأحضر من كَرمان مالاً كثيراً، وسلاحاً، ففرّقه في العسكر.

وأمّا علاء الدّين وأخوه فإنّهما تركا غَزْنة لم يدخلاها، وسارا في أثر ألْدُز، فسمع بهم، فسار عن كرمان، فنهب الناس بعضهم بعضاً، وملك علاء الدّين كَرمان، وأمّنوا أهلها، وعزموا على العود إلى غَزْنة ونَهْبها، فسمع أهلها بذلك، فقصدوا القاضي سعيد بن مسعود وشكوا إليه حالهم، فمشى إلى وزير علاء الدّين المعروف بالصاحب، وأخبره بحال الناس، فطيّب قلوبهم، وأخبرهم غيره ممّن يثقون به أنّهم مجمعون على النهب، فاستعدّوا، وضيّقوا أبواب الدّروب والشوارع، وأعدّوا العرّادات[1] والأحجار، وجاءت التجّار من العراق، والموصل، والشام، وغيرها، وشكوا إلى أصحاب السلطان، فلم يُشكهم أحد، فقصدوا دار مجد الدّين بن الربيع، رسول الخليفة، واستغاثوا به، فسكّنهم، ووعدهم الشفاعة فيهم وفي أهل البلد، فأرسل إلى أمير كبير من الغوريّة يقال له سليمان بن سيس، وكان شيخاً كبيراً يرجعون

---

(١) في الأوربية: «الغرادات».

إلى قوله، يعرّفه الحال، ويقول له ليكتب إلى علاء الدّين وأخيه يتشفّع في الناس. ففعل، وبالغ في الشفاعة، وخوّفهم من أهل البلد إن أصرّوا على النهب، فأجابوه إلى العفو عن الناس بعد مراجعات كثيرة.

وكانوا قد وعدوا من معهم من العساكر بنهب غزنة، فعوّضوهم من الخزانة، فسكن الناس، وعاد العسكر إلى غَزْنة أواخر ذي القعدة ومعهم الخزانة التي أخذها ألْدُز من مؤيّد المُلك لمّا عاد ومعه شهاب الدّين قتيلاً، فكانت مع ما أُضيف إليها من الثياب والعين تسع مائة حمل، ومن جملة ما كان فيها من الثياب الممزّج، المنسوج بالذهب، اثنا عشر ألف ثوب.

وعزم علاء الدّين [أن] يستوزر مؤيّد المُلك، فسمع أخوه جلال الدّين، فأحضره وخلع عليه، على كراهة منه للخِلعة، واستوزره، فلمّا سمع علاء الدّين بذلك قبض على مؤيّد الملك، وقيّده، وحبسه، فتغيّرت نيّات الناس، واختلفوا، ثمّ إنّ علاء الدّين وجلال الدّين اقتسما الخزانة، وجرى بينهما من المشاحنة[1] في القسمة ما لا يجري بين التّجّار، فاستدلّ بذلك الناس على أنّهما لا يستقيم لهما حال لبخلهما، واختلافهما، وندم الأمراء على ميلهم إليهما، وتزكهم غياث الدّين مع ما ظهر من كرمه وإحسانه.

ثمّ إنّ جلال الدّين وعمّه عبّاساً سارا في بعض العسكر إلى باميان، وبقي علاء الدّين بغَزْنَة، فأساء وزيره عماد المُلك السيرة مع الأجناد والرعيّة، ونُهبت أموال الأتراك، حتّى إنّهم باعوا أمّهات أولادهم وهنّ يبكين ويصرُخْنَ ولا يلتفت إليهنّ[2].

ذكر عود ألدُز إلى غزنة

لمّا سار جلال الدّين عن غَزْنَة، وأقام بها أخوه علاء الدّين، جمع ألْدُز ومَن معه من الأتراك عسكراً كثيراً وعادوا إلى غَزْنَة، فوصلوا إلى كلوا فملكوها وقتلوا جماعة من الغُوريّة، ووصل المنهزمون منها إلى كرمان، فسار ألْدُز إليهم، وجعل على مقدّمته مملوكاً كبيراً من مماليك شهاب الدّين، اسمه أي دكز التتر[3]، في ألفَيْ فارس من الخُلج والأتراك والغُزّ والغوريّة وغيرهم.

---

(1) في نهاية الأرب ٢٦/ ١١٥ «مُشَاحّة».

(2) نهاية الأرب ٢٦/ ١١٤، ١١٥.

(3) في الباريسية والنسخة رقم ٧٤٠ «أي دكن البتر».

وكان بكَرمان عسكر لعلاء الدّين مع أمير يقال له ابن المؤيّد، ومعه جماعة من الأمراء، منهم أبو عليّ بن سليمان بن سيس، وهو وأبوه من أعيان الغُوريّة، وكانا مشتغلين باللعب واللهو والشرب، لا يفتران عن ذلك، فقيل لهما: إنّ عسكر الأتراك قد قربوا منكم؛ فلم يلتفتا إلى ذلك، ولا تركا ما كانا عليه، فهجم عليهم أي دكز التتر ومَن معه من الأتراك، فلم يمهلهم يركبون خيولهم، فقُتلوا عن آخرهم، منهم مَن قُتل في المعركة، ومنهم مَن قُتل صبراً، ولم ينج إلاّ مَن تركه الأتراك عمداً.

ولمّا وصل ألْدُز فرأى أمراء الغُوريّة كلّهم قتلى قال: كلّ هؤلاء قاتلونا؟ فقال أي دكز التتر: لا بل قتلناهم صبراً؛ فلامه على ذلك، ووبّخه، وأحضر رأس ابن المؤيّد بين يديه، فسجد شكراً للّه تعالى، وأمر بالمقتولين فغُسّلوا ودُفنوا، وكان في جملة القتلى أبو عليّ بن سليمان بن سيس.

ووصل الخبر إلى غَزْنَة في العشرين من ذي الحجّة من هذه السنة، فصَلب علاء الدّين الذي جاء بالخبر، فتغيّمت السماء[1]، وجاء مطر شديد خرّب بعض غزنة، وجاء بعده بَرَدٌ كبار مثل بيض الدّجاج، فضجّ الناس إلى علاء الدّين بإنزال المصلوب، فأنزله آخر النهار، فانكشفت الظلمة، وسكن ما كانوا فيه.

وملك ألْدُز كَرمان، وأحسن إلى أهلها، وكانوا في ضرٍّ شديد مع أولئك.

ولمّا صحّ الخبر عند علاء الدّين أرسل وزيرَهُ الصاحب إلى أخيه جلال الدّين في باميان يخبره بحال ألْدُز، ويستنجده، وكان قد أعدّ العساكر ليسير إلى بلْخ يُرحل عنها خُوارزم شاه، فلمّا أتاه هذا الخبر ترك بَلْخ وسار إلى غَزْنَة، وكان أكثر عسكره من الغُوريّة قد فارقوه، وفارقوا أخاه، وقصدوا غياث الدّين، فلمّا كان أواخر ذي الحجّة وصل ألْدُز إلى غَزْنة، ونزل هو وعسكره بإزاء قلعة غَزْنة، وحصر علاء الدّين، وجرى بينهم قتال شديد، وأمر ألْدُز فنودي في البلد بالأمان، وتسكين الناس من أهل البلد، والغوريّة، وعسكر باميان، وأقام ألْدُز محاصراً للقلعة، فوصل جلال الدّين في أربعة آلاف من عسكر باميان وغيرهم، فرحل ألْدُز إلى طريقهم، وكان مُقامه إلى أن سار إليهم أربعين يوماً، فلمّا سار ألْدُز سيّر علاء الدّين مَن كان عنده من العسكر، وأمرهم أن يأتوا ألْدُز من خلفه، ويكون أخوه من بين يديه، فلا يسلم من عسكره أحد، فلمّا

---

(١) زاد في (ب): «وأمطرت».

خرجوا من القلعة سار سليمان بن سيس الغُوريّ إلى غياث الدّين بفِيروزكوه، فلمّا وصل إليه أكرمه وعظّمه، وجعله أمير داذ فِيروزكوه، وكان ذلك في صفر سنة ثلاثٍ وستّمائة.

وأمّا ألْدُز فإنّه سار إلى طريق جلال الدّين، فالتقوا[1] بقرية بَلَق، فاقتتلوا قتالاً صبروا فيه، فانهزم جلال الدّين وعسكره، وأُخذ جلال الدّين أسيراً، وأُتي به إلى ألْدُز، فلمّا رآه ترجّل وقبّل يده، وأمر بالاحتياط عليه، وعاد إلى غَزْنة وجلال الدّين معه وألف أسير من الباميانيّة، وغنم أصحابه أموالهم.

ولمّا عاد إلى غَزْنة أرسل إلى علاء الدّين يقول له ليسلّم القلعة إليه، وإلاّ قتل مَن عنده من الأسرى، فلم يسلّمها، فقتل منهم أربع مائة أسير بإزاء القلعة، فلمّا رأى علاء الدّين ذلك أرسل مؤيد المُلْك يطلب الأمان، فأمّنه ألْدُز، فلمّا خرج قبض عليه ووكّل به وبأخيه مَن يحفظهما، وقبض على وزيره عماد المُلك لسوء سيرته، وكان هندوخان بن ملكشاه بن خُوارزم شاه تكش مع علاء الدّين بقلعة غَزْنة، فلمّا خرج منها قبض عليه أيضاً، وكتب إلى غياث الدّين بالفتح، وأرسل إليه الأعلام وبعض الأسرى[2].

ذكر قصد صاحب مَراغة وصاحب إربل أذربِيجان

في هذه السنة اتّفق صاحب مَراغة، وهو علاء الدّين، هو ومظفّر الدّين كُوكبري[3]، صاحب إرْبِل، على قصد أذْربِيجان وأخذها من صاحبها أبي بكر بن البهلوان، لاشتغاله بالشرب ليلاً ونهاراً، وترْكه النظر في أحوال المملكة، وحفظ العساكر والرعايا، فسار صاحب إربل إلى مَراغة، واجتمع هو وصاحبها علاء الدّين، وتقدّما نحو تِبْريز، فلمّا علم صاحبها أبو بكر أرسل إلى إيدغمش، صاحب بلاد الجبل، هَمَذَان، وأصفَهان، والرَّيّ، وما[4] بينها من البلاد، وهو مملوك أبيه البهلوان، وهو في طاعة أبي بكر، إلاّ أنّه قد غلب على البلاد، فلا يلتفت إلى أبي بكر، فأرسل إليه أبو بكر يستنجده، ويعرّفه الحال، وكان حينئذٍ ببلد الإسماعيليّة، فلمّا

---

(١) من (أ).

(٢) نهاية الأرب ٢٦/١١٥، ١١٦.

(٣) في (ب): «كوكبري بن علي».

(٤) في (ب): «وأصفهان والذي ما».

أتاه الخبر سار إليه في العساكر الكثيرة.

فلمّا حضر عنده أرسل إلى صاحب إربل يقول له: إنّنا كنّا نسمع عنك أنّك تحبّ أهل العلم والخير وتحسن إليهم، فكنّا نعتقد فيك الخير والدّين، فلمّا كان الآن ظهر لنا منك ضدّ ذلك لقصدك بلاد الإسلام، وقتال المسلمين، ونهب أموالهم، وإثارة الفتنة، فإذا كنت كذلك فما لك عقل؛ تجيء إلينا، وأنت صاحب قَرية، ونحن لنا من باب خُراسان إلى خِلاط[1] وإلى إربل[2]، واحسب أنّك هزمت هذا، أما تعلم أن له مماليك، أنا أحدهم، ولو أخذ من كلّ قرية شحنة، أو من كلّ مدينة عشرة رجال، لاجتمع له أضعاف عسكرك، فالمصلحة أنّك ترجع إلى بلدك؛ وإنّما[3] أقول لك هذا إبقاء عليك.

ثمّ سار نحوه عقيب هذه الرسالة، فلمّا سمعها مظفّر الدّين وبلغه مسير إيدغمش عزم على العَود، فاجتهد به صاحب مراغة ليقيم بمكانه، ويسلّم عسكره إليه، وقال له: إنّني قد كاتبني جميع أمرائه ليكونوا معي إذا قصدتُهم؛ فلم يقبل مظفّر الدّين من قوله، وعاد إلى بلده، وسلك الطريق الشاقّة، والمضايق الصعبة، والعقاب الشاهقة، خوفاً من الطلب.

ثم إنّ أبا بكر وإيدغمش قصدا مَراغة وحصراها، فصالحهما صاحبها على تسليم قلعة من حصونه إلى أبي بكر، هي كانت سبب الاختلاف، وأقطعه أبو بكر مدينتَيْ أُشْنُوا[4] وأُرمِيَةَ وعاد عنه[5].

ذكر إيقاع إيدغمش[6] بالإسماعيليّة

وفي هذه السنة سار إيدغمش[6] إلى بلاد الإسماعيليّة المجاورة لقَزوين، فقتل منهم مقتلة كبيرة، ونهب وسبَى، وحصر قلاعهم، ففتح منها خمس قلاع، وصمّم العزم على حصر ألمُوتَ، واستئصال[7] أهلها، فاتّفق ما ذكرنا من حركة صاحب مَراغة

---

(١) في (ب): «إلى بلاد خلاط».

(٢) في (ب): «إلى باب إربل».

(٣) في (ب): «وأنا».

(٤) في (ب): «أسنوا»، وفي الجريدة الآسيوية ١٩٤٧ ـ ج ١/ ٤٦٠ «اشنه».

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٢هـ.) ص ٩، ١٠.

(٦) في العسجد المسبوك ٢/ ٣٠٤ «ايتغمش».

(٧) في (ب): «واستئصال الإسماعيلية فاتفق».

وصاحب إربل، واستدعاه الأمير أبو بكر، ففارق بلادهم وسار إلى أبي بكر كما ذكرناه[1].

ذكر وصول عسكر من خُوارزم إلى بلد الجبل وما كان منهم

وفي هذه السنة سار من عسكر خُوارزم طائفة كبيرة نحو عشرة آلاف فارس بأهليهم وأولادهم إلى بلد الجبل، فوصلوا إلى زنكان، وكان إيدغمش صاحبها مشغولاً مع صاحب إربل وصاحب مراغة، واغتنموا خلوّ البلاد، فلمّا عاد مظفّر الدّين إلى بلده وانفصل الحال بين إيدغمش وصاحب مراغة سار إيدغمش نحو الخُوارزميّة فلقيهم وقاتلهم فاشتدّ القتال بين الطائفتين، ثم انهزم الخُوارزميّون وأخذهم السيف فقُتل منهم وأُسر خلق كثير ولم ينج منهم إلاّ الشريد، وسُبي سباؤهم وغُنمت أموالهم، وكانوا قد أفسدوا في البلاد بالنهب والقتل فلقوا عاقبة فعلهم[2].

ذكر الغارة من ابن ليون على أعمال حلب

وفي هذه السنة توالت الغارة من ابن ليون الأرمنيّ، صاحب الدُّروب، على ولاية حلب، فنهب، وحرّق، وأسر، وسبى؛ فجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدّين يوسف، صاحب حلب، عساكره، واستنجد[3] غيره من الملوك، فجمع كثيراً من الفارس والراجل، وسار عن حلب نحو ابن ليون.

وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده ممّا يلي بلد حلب، فليس إليه طريق، لأنّ جميع بلاده لا طريق إليها إلاّ من جبال وعرة، ومضايق صعبة، فلا يقدر غيره على الدخول إليها[4]، لا سيّما من ناحية حلب، فإنّ الطريق منها متعذّر جدّاً، فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب، وجعل على مقدّمته جماعة من عسكره مع أمير كبير من مماليك أبيه، يُعرف بميمون القصريّ، يُنسب إلى قصر الخلفاء العلويّين بمصر، لأنّ أباه منهم أخذه، فأنفذ الظاهر ميرة وسلاحاً إلى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون، اسمه دَرْبَساك، وأنفذ إلى ميمون ليرسل طائفة من العسكر الذين عنده إلى طريق هذه الذّخيرة ليسيروا معها إلى دربساك، ففعل ذلك، وسيّر جماعة كثيرة من عسكره، وبقي في قلّة،

---

(١) العسجد المسبوك ٢/٣٠٤، دول الإسلام ٢/١٠٩.
(٢) دول الإسلام ٢/١٠٩، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٢هـ.) ص ١٠.
(٣) في (ب): «صاحب حلب واستمجد».
(٤) في (ب): «دخول الطريقَ إليها».

فبلغ الخبر إلى ابن ليون، فجدّ، فوافاه وهو مُخِفّ من العسكر، فقاتله، واشتدّ القتال بينهم، فأرسل ميمون إلى الظاهر يعرّفه[١]، وكان بعيداً عنه، فطالت الحربُ بينهم، وحمى ميمون نفسه وأثقاله على قلّة من المسلمين وكثرة من الأرمن، فانهزم المسلمون، ونال العدوّ منهم، فقتل وأسر، وكذلك أيضاً فعل المسلمون بالأرمن من كثرة القتل.

وظفر الأرمن بأثقال المسلمين فغنموها[٢] وساروا بها، فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذّخائر (إلى دَربَسَاك)[٣]، فلم يشعروا بالحال، فلم يَرُعْهم إلاّ العدّو وقد خالطهم ووضع السيف فيهم، فاقتتلوا أشدّ قتال، ثمّ انهزم المسلمون أيضاً، وعاد الأرمن إلى بلادهم بما غنموا واعتصموا بجبالهم وحصونهم[٤].

ذكر نهب الكُرج أرمينية

في هذه السنة قصدت الكُرج في جموعها ولاية خِلاط من أورمينية، ونهبوا، وقتلوا، وأسروا وسبوا[٥] أهلها كثيراً وجاسوا خلال الدّيار[٦] آمنين، ولم يخرج إليهم من خلاط من يمنعهم، فبقوا متصرّفين في النهب والسبي، والبلاد شاغرة لا مانع لها، لأنّ صاحبها صبيّ[٧]، والمدبّر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجُند.

فلمّا اشتدّ البلاء على الناس تذامروا، وحرّض بعضهم بعضاً، واجتمعت العساكر الإسلاميّة التي بتلك الولاية جميعها، وانضاف إليهم من المتطوّعة كثير، فساروا جميعهم نحو الكُرج وهم خائفون، فرأى بعض الصوفيّة الأخيار الشيخ محمّداً[٨] البُستيّ، وهو من الصالحين، وكان قد مات، فقال له الصوفيّ: أراك ها هنا؟ فقال: جئتُ لمساعدة المسلمين على عدوّهم. فاستيقظ فرحاً بمحلّ البُستيّ من الإسلام،

---

(١) في (ب) زيادة: «يعرفه الحال».

(٢) في (ب): «فنهبوها وغنموها».

(٣) من (ب).

(٤) مرآة الزمان ج ٨، ق ٥٢٦/٢، ذيل الروضتين ٥٣، مفرّج الكروب ١٧٠/٣، زبدة الحلب ١٥٥/٣ ـ ١٥٨ (حوادث ٦٠١ و٦٠٢هـ.)، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٢هـ.) ص ٩، البداية والنهاية ٤٣/١٣.

(٥) في (ب): «وسبوا من».

(٦) في (ب): «خلال تلك الديار».

(٧) في النسخة رقم ٧٤٠ زيادة: «ولا مدبّر له».

(٨) في الأوربية: «محمّد».

وأتى إلى مدبّر العسكر، والقيّم بأمره، وقصّ عليه رؤياه، ففرح بذلك، وقوي عزمه على قصد الكُرج، وسار بالعساكر إليهم فنزلا منزلاً.

فوصلت الأخبار إلى الكُرج، فعزموا على كبس المسلمين، فانتقلوا من موضعهم بالوادي إلى أعلاه، فنزلوا فيه ليكبسوا المسلمين إذا أظلم الليل، فأتى المسلمين الخبر، فقصدوا الكُرج وأمسوا عليهم رأس الوادي وأسفله، وهو وادٍ ليس إليه غير هذين[١] الطريقَيْن، فلمّا رأى الكُرج ذلك أيقنوا بالهلاك، وسقُط في أيديهم، وطمع المسلمون فيهم، وضايقوهم، وقاتلوهم، فقتلوا منهم كثيراً، وأسروا مثلهم، ولم يُفلت من الكُرج إلاّ القليل، وكفى الله المسلمين شرّهم بعد أن كانوا أشرفوا على الهلاك[٢].

ذكر عدّة حوادث[٣]

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، تُوفّي الأمير طاشتِكِين[٤] مُجير الدّين، أمير الحاجّ، بتُسْتَر[٥]، وكان قد ولاّه الخليفة على جميع خُوزستان، وكان أمير الحاجّ سنين كثيرة، وكان خيّراً صالحاً، حسن السيرة، كثير العبادة، يتشيّع.

ولمّا مات ولّى الخليفة على خُوزستان مملوكه سَنجَر، وهو صهر طاشتكين زوج ابنته.

[وفيها[٦] قُتل سَنجَر بن مقلد بن سليمان بن مهارش، أمير عبادة، بالعراق. وكان سبب قتله أنّه سعى[٧] بأبيه مقلد إلى الخليفة الناصر لدين الله، فأمر بالتوكيل على أبيه، (فبقي مدّة)[٨] ثمّ أطلقه الخليفة، ثمّ إنّ سَنجَر قتل أخاً له اسمه[٩]...

---

(١) في الأوربية: «هذه».

(٢) الجامع المختصر ٩/١٧٧، دول الإسلام ٢/١٠٩، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٢هـ.) ص ٩، المختار من تاريخ ابن الجزري ٩٠، البداية والنهاية ١٣/٤٣، العسجد المسبوك ٢/٣٠٤.

(٣) العنوان من نسخة (أ) ورقة ١٦٦، وفي الأصل: «ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين أولاده».

(٤) أنظر عن (طاشتكين) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٦٠٢هـ.) ص ٩٢.

(٥) في الأوربية: «بتشتر».

(٦) من هنا إلى نهاية الحاصرتين من (أ).

(٧) في (ب): «أنه كان قد سعى».

(٨) من (أ).

(٩) في الأصل بياض مقدار كلمة أو كلمتين.

فأوغر بهذه الأسباب صدور أهله وإخوته، فلمّا كان هذه السنة في شعبان نزل بأرض المعشوق، وركب في بعض الأيّام، ومعه إخوته وغيرهم من أصحابه، فلمّا انفرد عن أصحابه ضربه أخوه عليّ بن مقلّد بالسيف فسقط إلى الأرض، فنزل إخوته إليه فقتلوه.

وفيها تجهّز غياث الدّين خُسرُو شاه، صاحب مدينة[1] الروم، إلى مدينة طَرَابزون، وحصر صاحبها لأنّه كان قد خرج عن طاعته، فضيّق عليه، فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم، والروس، وقفجاق وغيرها، برّاً وبحراً، ولم يخرج منهم أحدٌ إلى بلاد غياث الدّين، فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس، لأنّهم كانوا يتّجرون معهم، ويدخلون بلادهم، ويقصدهم التّجّار من الشام، والعراق، والموصل، والجزيرة وغيرها، فاجتمع منهم بمدينة سِيواس خلق كثير، فحيث لم ينفتح الطريق تأذّوا أذًى كثيراً، فكان السَّعيد منهم مَن عاد إلى رأس ماله.

وفيها تزوّج أبو بكر بن البهلوان، صاحب أذْرَبِيجان وأرّان، بابنة ملك الكُرج، وسبب ذلك أنّ الكُرج تابعت الغارات منهم على بلاده لما رأوا من عجزه وانهماكه في الشرب واللَّعب وما جانسهما، وإعراضه عن تدبير المُلْك وحفظ البلاد، فلمّا رأى هو أيضاً ذلك، ولم يكن عنده من الحميّة والأَنَفَة من هذه المناحس ما يترك ما هو مُصِرّ عليه، وأنّه لا يقدر على الذّبّ عن البلاد [بالسيف]، عدل إلى الذّبّ عنها بأَيره، فخطب ابنة ملكهم، فتزوّجها، فكفّ الكُرج عن النهْب والإغارة والقتل، فكان كما قيل: أغمد سيفه، وسلّ أَيرَه.

وفيها حُمل إلى إربل[2] خروف وجهه صورة آدميّ، وبدنه بدن خروف، وكان هذا من العجائب].

[الوَفَيَات]

وفيها تُوفّي القاضي أبو حامد محمّد بن محمّد المانداي الواسطيّ بها.

وفيها، في شوّال، تُوفّي فخر الدّين مبارك شاه بن الحسن المَرْوَرُوذيّ، وكان حسن الشِعْر بالفارسيّة والعربيّة، وله منزلة عظيمة عند غياث الدّين الكبير، صاحب

---

(١) في (ب): «بلاد».

(٢) في طبعة صادر ٢٤٢/١٢ «ازبك» بالزاي والكاف، وهو تحريف، والتصحيح من: (ب)، والجامع المختصر ١٧٦/٩، والعبر ٣/٥، والمختار من تاريخ ابن الجزري ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٢هـ) ص ٩، والعسجد المسبوك ٣٠٧/٢ وقد تكرّر فيه مرتين.

غَزْنَة وهَرَاة وغيرهما، وكان له دار ضيافة، فيها كُتب وشِطْرَنج، فالعلماء يطالعون الكتب، والجهّال يلعبون بالشطرنج.

وفيها، في ذي الحجة، تُوفّي أبو الحسن عليّ بن عليّ بن سعادة الفارقيّ، الفقيه الشافعيّ، ببغداد، وبقي مدّة طويلة معيداً بالنظاميّة، وصار مدرّساً بالمدرسة التي أحدثتها أمّ الخليفة الناصر لدين الله، وكان مع علمه صالحاً، طُلب للنيابة في القضاء ببغداد، فامتنع، فأُلزم بذلك، فوليه يسيراً؛ ثمّ في بعض الأيّام مشى إلى جامع ابن المطّلب، فنزل، ولبس مئزر صوف غليظ، وغيّر ثيابه، وأمر الوكلاء وغيرهم بالانصراف عنه، وأقام به حتّى سكن الطلب عنه، وعاد إلى منزله بغير ولاية.

وفيها وقع الشيخ أبو موسى المكّيّ، المقيم بمقصورة جامع السلطان ببغداد، من سطح الجامع، فمات، وكان رجلاً صالحاً كثير العبادة.

وفيها أيضاً تُوفّي العفيف أبو المكارم عرفة بن عليّ بن بصلا البَندنيجيّ ببغداد، وكان رجلاً صالحاً، منقطعاً إلى العبادة، رحمه الله.

٦٠٣
ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة

ذكر مُلك عبّاس باميان وعودها إلى ابن أخيه

في هذه السنة ملك عبّاس باميان من علاء الدّين وجلال الدّين ولدَيْ أخيه بهاء الدّين.

وسبب ذلك أنّ عسكر باميان لمّا انهزموا من ألْدُز، وعادوا إليها، أخبروا أنّ علاء الدّين وجلال الدّين أُسرا[1]، وأنّ ألْدُز ومَن معه غنموا ما في العسكر فأخذ وزير أبيهما، المعروف بالصاحب، من الأموال كثيراً، ومن الجواهر وغيرها من التُّحَف؛ وأخذ فيلاً، وسار إلى خُوارزم شاه يستنجده على ألْدُز ليسيّر معه عسكراً يستخلص به صاحبَيْه.

فلمّا فارق باميان، ورأى عمّهما عبّاس خلوّ البلد منه ومن ابنَيْ أخيه، جمع أصحابه وقام في البلد فملكه، وصعد إلى القلعة فملكها، وأخرج أصحاب ابنَيْ أخيه علاء الدّين وجلال الدّين منها؛ فبلغ الخبر إلى الوزير السائر إلى خُوارزم شاه، فعاد إلى باميان، وجمع الجموع الكثيرة، وحصر عبّاساً في القلعة، وكان مطاعاً في جميع ممالك بهاء الدّين وولدَيْه من بعده، وأقام عليه محاصراً، إلاّ أنّه لم يكن معه من المال ما يقوم بما يحتاج إليه، إنّما كان معه ما أخذه ليحمله إلى خُوارزم شاه.

فلمّا خلّص جلال الدّين من أسر ألْدُز، على ما نذكره، سار إلى باميان، فوصل إلى أرصف، وهي مدينة باميان، وجاء إليه وزير أبيه الصاحِب، واجتمع به، وساروا إلى القلاع، وراسلوا عبّاساً المتغلّب عليها، ولاطفوه، فسلّم الجميع إلى جلال الدّين وقال: إنّما حفظتُها خوفاً أن يأخذها خُوارزم شاه؛ فاستحسن فعله، وعاد إلى مُلكه.

---

(١) في الأوربية: «أسروا».

ذكر مُلك خوارزم شاه الطالقان

لمّا سلّم خُوارزم شاه تِرْمِذ إلى الخطا سار عنها إلى مَيْهَنَةَ[1] وأنْدَخُوي [وكتب][2] إلى سونج أمير أشكار[3]، نائب غياث الدّين محمود بالطالقان، يستميله، فعاد الرسول خائباً لم يُجِبه سونج إلى ما أراد منه، وجمع عسكره وخرج يحارب خُوارزم شاه، فالتقوا بالقرب من الطالقان.

فلمّا تقابل العسكران حمل سونج وحده مُجِدّاً، حتّى قارب عسكر خُوارزم شاه، فألقى نفسه إلى الأرض، ورمى سلاحه عنه، وقبّل الأرض، وسأل العفو، فظنّ خُوارزم شاه أنّه سكران، فلمّا علم أنّ صاحِ ذمّه وسبّه، وقال: من يثق بهذا[4] وأشباهه! ولم يلتفت إليه، وأخذ ما بالطالقان من مال وسلاح ودوابّ وأنفذه إلى غياث الدّين مع رسول، وحمّله رسالة تتضمّن التقرّب إليه والملاطفة له، واستناب بالطالقان بعض أصحابه، وسار إلى قلاع كالورين وبيوار، فخرج إليه حسام الدّين عليّ بن أبي عليّ، صاحب كالوين، وقاتله على رؤوس الجبال، فأرسل إليه خُوارزم شاه يتهدّده إن لم يسلّم إليه، فقال: أمّا أنا فمملوك، وأمّا هذه الحصون فهي أمانة بيدي، ولا أسلّمها إلاّ إلى صاحبها؛ فاستحسن خُوارزم شاه منه هذا، وأثنى عليه، وذمّ سونج.

ولمّا بلغ غياثَ الدّين خبرُ سونج، وتسليمه الطّالقان إلى خُوارزم شاه، عظُم عنده وشُقّ عليه، فسلاّه أصحابه، وهوّنوا الأمر.

ولمّا فرغ خُوارزم شاه من الطالقان سار إلى هَراة، فنزل بظاهرها، ولم يمكن ابن خرميل أحداً من الخُوارزميّين أن يتطرّق بالأذى إلى أهلها، وإنّما كانوا يجتمع منهم الجماعة بعد الجماعة، فيقطعون الطّريق، وهذه عادة الخُوارزميّين.

ووصل رسول غياث الدّين إلى خُوارزم شاه بالهدَايا، ورأى الناس عجباً، وذلك أن الخُوارزميّين لا يذكرون غياث الدّين الكبير والد غياث الدّين هذا، ولا يذكرون أيضاً شهاب الدّين أخاه، وهما حيّان، إلاّ بالغُوريّ، وصاحب غزنة، وكان وزير

---

(١) في الباريسية: «ميمند»، وفي النسخة رقم ٧٤٠ «ميمنه».

(٢) من الباريسية والنسخة رقم ٧٤٠.

(٣) في البارسية: «شكار».

(٤) في الأوربية: «من يثق إلى هذا».

خُوارزم شاه الآن، مع عِظَم شأنه وقلّة شأن غياث الدّين هذا، لا يذكره إلاّ بمولانا السلطان مع ضعفه وعجزه وقلة بلاده.

وأمّا ابن خرميل فإنّه سار من هَراة في جمع من عسكر خُوارزم شاه، فنزل على أسفزار في صفر، وكان صاحبها قد توجّه إلى غياث الدّين فحصرها وأرسل إلى مَن بها يقسم بالله لئن سلّموها أن يؤمّنهم، وإن امتنعوا أقام عليهم إلى أن يأخذهم، فإذا أخذهم قهراً لا يُبقي على كبير ولا صغير، فخافوا، فسلّموها في ربيع الأوّل، فأمّنهم ولم يتعرّض إلى أهلها بسوء؛ فلمّا أخذها أرسل إلى حرب بن محمّد، صاحب سِجِستان، يدعوه إلى طاعة خُوارزم شاه والخطبة له ببلاده، فأجابه إلى ذلك، وكان غياث الدّين قد راسله قبل ذلك في الخطبة والدّخول في طاعته، فغالطه ولم يُجِبه إلى ما طلب.

ولمّا كان خُوارزم شاه على هَرَاة عاد إليها القاضي صاعد بن الفضل الذي كان ابن خرميل قد أخرجه من هَراة في العام الماضي، وسار إلى غياث الدّين، فعاد الآن من عنده، فلمّا وصل قال ابن خرميل لخُوارزم شاه: إنّ هذا يميل إلى الغُوريّة، ويريد دولتهم؛ ووقع فيه، فسجنه خُوارزم شاه بقلعة زوْزَنَ، وولّى القضاء بهراة الصّفيّ أبا بكر بن محمّد السرخسيّ، وكان ينوب عن صاعد وابنه في القضاء بهراة[1].

ذكر حال غياث الدين مع ألْدُز وأيبَك

لمّا عاد ألْدُز إلى غَزْنَة، وأسر علاء الدّين وأخاه جلال الدّين، كما ذكرناه، كتب إليه غياث الدّين يطالبه بالخطبة له، فأجابه جواب مدافع، وكان جوابه في هذه المرّة أشدّ منه فيما تقدّم، فأعاد غياث الدّين إليه يقول: إمّا أن تخطب لنا، وإمّا أن تعرّفنا ما في نفسك؛ فلمّا وصل الرسول بهذا أحضر خطيب غَزْنَة وأمره [أن] يخطب لنفسه بعد الترحّم على شهاب الدّين، فخطب لتاج الدّين ألْدُز بغزنة.

فلمّا سمع الناس ذلك ساءهم، وتغيّرت نيّاتهم، ونيّات الأتراك الذين معه، ولم يروه أهلاً أن يخدموه، وإنّما كانوا يُطيعونه ظنّاً منهم أنّه ينصر دولة غياث الدّين، فلمّا خطب له أرسل إلى غياث الدّين يقول له: بماذا تشتطّ عليّ، وتتحكّم في هذه الخزانة؟ نحن جمعناها بأسيافنا، وهذا المُلك قد أخذته، وأنت قد اجتمع عندك الذين هم

(١) الجامع المختصر ٩/ ٢٤١، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٣هـ.) ص ١٢، العسجد المسبوك ٢/ ٣٠٨.

أساس الفتنة، وأقطعتَهم الإقطاعات، ووعدتَني[١] بأمور لم تقف عليها، فإن أنت أعتقتَني[٢] خطبتُ لك وحضرتُ خدمتَك.

فلمّا وصل الرسول أجابه غياث الدّين إلى عتْق ألْدُز، بعد الامتناع الشديد، والعزم على مصالحة خُوارزم شاه على ما يريد، وقصد غزنة ومحاربته بها؛ فلمّا أجابه إلى العتق أشهد عليه به، وأشهد عليه أيضاً بعتق قُطب الدّين أيبَك، مملوك شهاب الدّين ونائبه ببلاد الهند، وأرسل إلى كلّ واحد منهما ألف قُباء، وألف قَلَنْسُوَة، ومناطق الذّهب، وسيوفاً كثيرة وجترَيْن، ومائة رأس من الخيل، وأرسل إلى كلّ واحدٍ منهما رسولاً، فقبِل ألدُز الخِلع، وردّ الجتر، وقال: نحن عبيد ومماليك، والجتر له أصحاب.

وسار رسول أيبك إليه، وكان بفرشابور قد ضبط المملكة وحفظ البلاد، ومنع المفسدين من الفساد والأذى، والناس معه في أمْن، فلمّا قرب الرسول منه لقيه على بُعد، وترجّل وقبّل حافر الفرس، ولبس الخِلعة، وقال: أمّا الجتر فلا يصلح للمماليك، وأمّا العتق فمقبول، وسوف أُجازيه بعبوديّة الأبد.

وأمّا خُوارزم شاه فإنّه أرسل إلى غياث الدّين يطلب منه أن يتصاهرا، ويطلب منه ابن خرميل صاحب هراة إلى طاعته، ويسير معه في العساكر إلى غزنة، فإذا ملكها من ألدُز اقتسموا المال أثلاثاً: ثلث لخُوارزم شاه، وثلث لغياث الدّين، وثلث للعسكر؛ فأجابه إلى ذلك، ولم يبق إلاّ الصلح، فوصل الخبر إلى خُوارزم شاه بموت صاحب مازَنْدَران، فسار عن هَرَاة إلى مَرْوَ، وسمع ألدُز بالصلح، فجزع لذلك جزعاً عظيماً ظهر أثرُه[٣] عليه، وأرسل إلى غياث الدّين: ما حملك على هذا؟ فقال: حملني عليه عصيانك وخلافك عليّ. فسار ألدُز إلى تكياباذ[٤] فأخذها، وإلى بُست وتلك الأعمال فملكها، وقطع خطبة غياث الدّين منها، وأرسل إلى صاحب سِجِستان يأمره بإعادة التّرحّم على شهاب الدّين، وقطع خطبة خُوارزم شاه، وأرسل إلى ابن خرميل، صاحب هَرَاة، بمثل ذلك، وتهدّدهما بقصد بلادهما، فخافهما الناس.

---

(١) في (أ): «وأمرتني».
(٢) في (أ): «تعتقني».
(٣) في الأوربية: «أثر».
(٤) في نسخة: «تكناباذ».

ثمّ إنّ ألدُز أخرج جلال الدّين، صاحب باميان، من أسْره، وسيّر معه خمسة آلاف فارس مع أي دكز التتر، مملوك شهاب الدّين، إلى باميان ليُعيدوه إلى مُلكه ويُزيلوا[١] ابن عمّه عنه، وزوّجه ابنته؛ وسار ومعه أي دكز، فلمّا خلا به وبّخه على لبسه خلعة ألدُز وقال له: أنتم ما رضيتم [أن] تلبسوا خلعة غياث الدّين، وهو أكبر سنّاً منكم، وأشرف بيتاً، تلبس خلعة هذا المأبون! يعني ألدُز، ودعاه إلى العَود معه إلى غَزنة، وأعلمه أنّ الأتراك كلّهم مجمعون على خلاف ألدُز.

فلم يُجِبه إلى ذلك، فقال أي دكز: فإنّني لا أسير معك؛ وعاد إلى كابُل، وهي إقطاعه، فلمّا وصل أي دكز إلى كابُل لقيه رسول من قُطب الدّين أيبك إلى ألدُز يقبّح له فعله، ويأمره بإقامة خطبة غياث الدّين، ويخبره أنّه قد خطب له في بلاده، ويقول له إن لم يخطب له هو أيضاً بغَزنة ويعود إلى طاعته، وإلاّ قصده وحاربه.

فلمّا علم أي دكز ذلك قويت نفسه على مخالفة ألدُز، وصمّم العزم على قصد غَزنة. ووصل أيضاً رسول أيبك إلى غياث الدّين بالهدايا والتحف، ويُشير عليه بإجابة خُوارزم شاه إلى ما طلب الآن، وعند الفراغ من أمر غَزنة تسهل أمور خُوارزم شاه وغيره، وأنفذ له ذهباً عليه اسمه، فكتب أي دُكز إلى أيبك يُعرّفه عصيان ألدُز على غياث الدّين وما فعله في البلاد، وأنّه على عزم مشاقّة[٢] ألدُز، وهو ينتظر أمره؛ فأعاد أيبك جوابه يأمره بقصد غَزنة، فإن حصلت له القلعة أقام بها إلى أن يأتيه، وإن لم تحصل له القلعة وقصده ألدُز انحاز إليه، أو إلى غياث الدّين، أو يعود إلى كابُل.

فسار إلى غَزنة، وكان جلال الدّين قد كتب إلى ألدُز يخبره خبر أي دكز[٣] وما عزم عليه، فكتب ألدُز إلى نوّابه بقلعة غَزنة يأمرهم بالاحتياط منه، فوصلها أي دكز أوّل رجب من السنة، وقد حذروه فلم يسلّموا إليه القلعة، ومنعوه عنها، فأمر أصحابه بنهب البلد، فنهبوا عدّة مواضع منه، فتوسّط القاضي الحال بأن سلّم إليه من الخزانة خمسين ألف دينار رُكنيّة، وأخذ له من التجّار شيئاً آخر، وخطب أي دُكز بغزنة لغياث الدّين، وقطع خطبة ألدُز، ففرح الناس بذلك.

وكان مؤيّد المُلك ينوب عن ألدُز بالقلعة، ووصل الخبر إلى ألدُز بوصول أي

---

(١) في الأوربية: «ويزيلون».

(٢) في الأوربية: «مشاققة».

(٣) من (أ).

دكز إلى غَزنة، ووصول رسول أبيك إليه، ففُتّ في عضده، وخطب لغياث الدّين في تكياباذ، وأسقط اسمه من الخطبة، فخطب له، ورحل إلى غزنة؛ فلمّا قاربها رحل أي دكز عنها إلى بلد الغُور، فأقام في تمران، وكتب إلى غياث الدّين يخبره بحاله، وأنفذ إليه المال الذي أخذه من الخزانة ومن أموال الناس، فأرسل إليه خِلعاً وأعتقه، وخاطبه بملك الأمراء، وردّ عليه المال الذي كان أخذه من الخزانة، وقال له: أمّا مال الخزانة فقد أعدناه إليك لتُخرجه، وأمّا أموال التّجّار وأهل البلد فقد أرسلتُه (مع رسولي ليُعاد)[1] إلى أربابه لئلاّ نفتتح دولتنا بالظلم، وقد عوّضتُك عنه ضعفه[2].

وأرسل أموال الناس إلى غَزنة، إلى قاضي غَزنة، وأمره أن يردّ المال (المنفذ)[3] على أربابه، فأنهى القاضي الحال مع ألدُز، وأشار عليه بالخطبة لغياث الدّين، وقال: أنا أسعى في الوصلة بينكما والصِّهر والصلح؛ فأمره بذلك، فبلغ الخبر إلى غياث الدّين، فأرسل إلى القاضي ينهاه عن المجيء إليه، وقال: لا تسأل في عبدٍ أَبَق قد بان فسادُه واتّضح عنادُه؛ فأقام بغزنة هو وألدُز، وسيّر غياث الدّين عسكراً إلى أي دكز التتر، فأقاموا معه، وسيّر ألدُز عسكراً إلى رُوين كان[4]، وهي لغياث الدّين، وقد أقطعها لبعض الأمراء، فهجموا على صاحبها، فنهبوا ماله، وأخذوا أولاده، فنجا وحده إلى غياث الدّين، فاقتضى الحال أنْ سار غياث الدّين إلى بُست وتلك الولاية، فاستردّها وأحسن إلى أهلها، وأطلق لهم خراج سنة لِما نالهم من ألدُز من الأذى[5].

ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين أولاده

في هذه السنة تُوفّي حُسام الدّين (أردشير)[6]، صاحب مازَندَران، وخلّف ثلاثة أولاد، فملك بعده ابنه الأكبر، وأخرج أخاه الأوسط من البلاد، فقصد جُرجَان، وبها الملك عليّ شاه بن خُوارزم شاه تكش، أخو خُوارزم شاه محمّد، وهو ينوب عن أخيه فيها، فشكا إليه ما صنع به أخوه من إخراجه من البلاد، (وطلب منه أن ينجده عليه،

(١) من (أ).
(٢) في (أ): «ضعيفه».
(٣) من (أ).
(٤) في الباريسية: «روركان»، وفي النسخة رقم ٧٤٠ «رون كان».
(٥) الجامع المختصر ٢٠٤/٩، ٢٠٥، العسجد المسبوك ٣٠٨/٢ ـ ٣١١.
(٦) من (أ).

ويأخذ له البلاد ليكون في طاعته)[1]، فكتب عليّ شاه إلى أخيه خُوارزم شاه في ذلك، فأمره بالمسير معه إلى مازَندَران، وأخْذ البلاد له، وإقامة الخطبة لخُوارزم شاه فيها.

فساروا عن جُرجان، فاتّفق أنّ حُسام الدّين، صاحب مازَندَران، مات في ذلك الوقت، وملك البلاد بعده أخوه الأصغر، واستولى على القلاع والأموال، فدخل عليّ شاه البلاد، ومعه صاحب[2] مازندران، فنهبوها وخرّبوها، وامتنع منهم الأخ الصغير[3] بالقلاع، وأقام بقلعة كورا، وهي التي فيها الأموال والذّخائر، وحصروه فيها بعد أن ملّكوا أسامة البلاد مثل: سارية وآمل وغيرهما من البلاد والحصون، وخُطب لخُوارزم شاه فيها جميعها، فصارت في طاعته، وعاد عليّ شاه إلى جُرجان؛ وأقام ابن ملك مازَنْدَران في البلاد مالكاً لها جميعها، سوى القلعة التي فيها أخوه الأصغر، وهو يراسله، ويستميله، ويستعطفه، وأخوه لا يردّ جواباً، ولا ينزل عن حصنه.

ذكر مُلك غياث الدين كيخسرو مدينة انطاكية

في هذه السنة، ثالث شعبان، ملك غياث الدّين كَيْخَسرو، صاحب قُونيةَ وبلد الروم، مدينة أنطاكية بالأمان، وهي للروم على ساحل البحر.

وسبب ذلك أنّه كان حصرها قبل هذا التاريخ، وأطال المُقام عليها، وهدم عدّة أبراج من سورها، ولم يبق إلاّ فتحها عَنوة، فأرسل مَن [بها من] الروم إلى الفرنج الذين بجزيرة قبرس، وهي قريبة منها، فاستنجدوهم، فوصل إليها جماعة منهم، فعند ذلك يئس غياث الدّين منها، ورحل عنها، وترك طائفة من عسكره بالقرب منها، بالجبال التي بينها وبين بلاده، وأمرهم بقطع الميرة منها.

فاستمرّ الحال على ذلك مدّة حتّى ضاق بأهل البلد، واشتدّ الأمر عليهم، فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين عن مضايقتهم، فظنّ الفرنج أنّ الروم يريدون إخراجهم من المدينة بهذا السبب، فوقع الخلف بينهم، فاقتتلوا، فأرسل الروم إلى المسلمين، وطلبوهم ليسلّموا إليهم البلد، فوصلوا إليهم، واجتمعوا على قتال الفرنج، فانهزم الفرنج ودخلوا الحصن فاعتصموا به، فأرسل المسلمون يطلبون غياث الدّين، وهو بمدينة قُونية، فسار إليهم مُجِدّاً في طائفة من عسكره، فوصلها ثاني شعبان،

---

(١) من (أ).
(٢) في (أ): «ولد صاحب».
(٣) في (أ): «الأصغر».

وتقرّر الحال بينه وبين الروم، وتسلّم المدينة (ثالثة)[١]، وحصر الحصن الذي فيه الفرنج، وتسلّمه، وقتل كلّ من كان به من الفرنج[٢].

ذكر عزل ولد بكتمر صاحب خِلاط وملك بلبان ومسير صاحب ماردين إلى خِلاط وعوده

وفي هذه السنة قبض عسكر خِلاط على صاحبها ولد بكتمر، وملكها بلبان مملوك شاه أرمن بن سكمان، وكتب أهل خلاط إلى ناصر الدّين أرتق بن إيلغازي بن البي بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق يستدعونه إليها.

وسبب ذلك أنّ ولد بكتمر كان صبيّاً جاهلاً، فقبض على الأمير (شجاع الدّين قتلغ، مملوك من مماليك شاه أرمن)[٣]، وهو كان أتابكه، ومُدبّر بلاده، وكان حسن السيرة مع الجُند والرعيّة، فلمّا قتله اختلفت الكلمة عليه من الجُند والعامّة، واشتغل هو باللهو واللعب وإدمان الشرب، فكاتب جماعة من عامّة خِلاط، وجماعة من جُند[٤] ناصِر الدّين، صاحب ماردين، يستدعونه إليهم؛ وإنما كاتبوه دون غيره من الملوك لأنّ أباه قُطْب الدّين إيلغازي كان ابن أخت شاه أرمن بن سكمان، وكان شاه أرمن قد حلّف له الناس في حياتِهِ لأنّه لم يكن له ولد، فلمّا تجدّدت بعده هذه الحادثة تذاكروا تلك الأيمان، وقالوا: نستدعيه ونملّكه، فإنّه من أهل بيت شاه أرمن؛ فكاتبوه وطلبوه إليهم.

ثمّ إنّ بعض مماليك شاه أرمن، اسمه بلبان، وكان قد جاهر ولد بكتمر بالعداوة والعصيان، سار من خلاط إلى ملازكرد وملكها، واجتمع الأجناد عليه، وكثُر جَمْعه، وسار إلى خِلاط فحصرها، واتّفق وصول صاحب ماردين إليه، وهو يظنّ أنّ أحداً لا يمتنع عليه، ويسلّمون إليه المدينة، فنزل قريباً من خِلاط عدّة أيّام، فأرسل إليه بلبان يقول له: إنّ أهل خلاط قد اتّهموني بالميل إليك، وهم ينفرون من العرب، والرأي أنّك ترحل عائداً مرحلة واحدة وتقيم، فإذا تسلّمتُ البلد سلّمته إليك، لأنّني لا يمكنني أن أملكه أنا.

---

(١) من (أ).

(٢) العسجد المسبوك ٢/٣١١ باختصار شديد.

(٣) من (أ).

(٤) في الأوربية: «الجند».

ففعل صاحب ماردين ذلك، فلمّا أبعد عن خِلاط أرسل إليه يقول له: تعود إلى بلدك، وإلاّ جئتُ إليك وأوقعتُ بك وبمن معك. وكان في قلّة من الجيش، فعاد إلى ماردين.

وكان الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيّوب، صاحب حَرّان وديار الجزيرة، قد أرسل إلى صاحب ماردين، لمّا سمع أنّه يريد قصد خِلاط، يقول له: إن سرتَ إلى خِلاط قصدتُ بلدك؛ وإنّما خاف أن يملك خِلاط فيقوى عليهم، فلمّا سار إلى خِلاط جمع الأشرف العساكر وسار إلى ولاية ماردين، فأخذ دخلها، وأقام بَدُنَيْسِر يجبي الأموال إليه، فلمّا فرغ منه عاد إلى حَرّان، فكان مثل صاحب ماردين كما قيل: خرجت النَّعامة تطلب قرنَيْن فعادت بلا أُذنَيْن.

وأمّا بلبان فإنّه جمع العسكر وحشد، وحصر خِلاط وضيّق على أهلها، وبها ولد بكتمر، فجمع مَن عنده بالبلد من الأجناد والعامّة، وخرج إليه، فالتقوا، فانهزم بلبان ومَن معه من بين يديه، وعاد إلى الذي بيده من البلاد، وهو: ملازكرد وأرجيش وغيرهما من الحصون، وجمع العساكر، واستكثر منها، وعاود حصار خِلاط وضيّق على أهلها، فاضطرّهم إلى خذلانِ ولد بكتمر لصغره، وجهله بالملك، واشتغاله بلهوه ولعبه، ثمّ قبضوا عليه في القلعة، وأرسلوا إلى بلبان وحلّفوه على ما أرادوا، وسلّموا إليه البلد وابن بكتمر، واستولى على جميع أعمال خِلاط، وسجن ابن بكتمر في قلعة هناك، واستقرّ مُلكه، فسبحان مَن إذا أراد أمراً هيّأ أسبابه؛ بالأمس يقصدها شمس الدّين محمّد البهلوان وصلاح الدّين يوسف بن أيّوب، فلم يقدر أحدهما عليها، والآن يظهر هذا المملوك العاجز، القاصر عن الرجال والبلاد والأموال، فيملكها صفواً عفواً.

ثمّ إنّ نجم الدّين أيّوب بن العادل، صاحب ميّافارقين، سار نحو ولاية خِلاط؛ وكان قد استولى [على] عدّة حصون من أعمالها منها: حصن موسى[1] ومدينته، فلمّا قارب خلاط أظهر له بلبان العجز عن مقابلته، فطمع، وأوغل في القرب، فأخذ عليه بلبان الطريق وقاتله فهزمه، ولم يُفلت من أصحابه إلاّ القليل وهم جَرحَى، وعاد إلى ميّافارقين[2].

---

(١) في (أ): «موش»، وفي (ب): «موس».

(٢) الجامع المختصر ٩/٢٠٦، تاريخ مختصر الدول ٢٢٨، العسجد المسبوك ٢/٣١١، ٣١٢.

ذكر مُلك الكُرج مدينة قرس وموت ملك الكُرج

في هذه السنة ملك الكُرج حصن قرس، من أعمال خِلاط، وكانوا قد حصروه مدّة طويلة، وضيّقوا على مَن فيه، وأخذوا دَخْل الولاية عدة سنين، وكلّ من يتولّى خِلاط لا ينجدهم، ولا يسعى في راحة تصل إليهم.

وكان الوالي بها يواصل رسله في طلب النجدة، وإزاحة مَن عليه من الكُرج، فلا يُجاب[1] له دعاء، فلمّا طال الأمر عليه، ورأى أن لا ناصر له، صالح الكُرج على تسليم القلعة على مال كثير وإقطاع يأخذه منهم، وصار دار شِرك بعد أن كانت دار توحيد، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، ونسأل اللّه أن يُسهل للإسلام وأهله نصراً من عنده، فإنّ ملوك زماننا قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم وظُلمهم عن سدّ الثغور وحفظ البلاد.

ثمّ إنّ اللّه تعالى نظر إلى قلّة ناصر الإسلام، فتولاّه هو، فأمات ملكة الكُرج، واختلفوا فيما بينهم وكفى اللّه شرّهم إلى آخر السنة[2].

ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وصاحب لُرستان

في هذه السنة، في رمضان، سار عسكر الخليفة من خُوزستان مع مملوكه سَنجَر، وهو كان المتولّي لتلك الأعمال: وليَها بعد موت طاشتكين أمير الحاجّ، لأنّه زوج ابنة طاشتكين، إلى جبال لُرستان، وصاحبها يُعرف بأبي طاهر، وهي جبال منيعة بين فارس وأصبهان وخُوزستان، فقاتلوا أهلها وعادوا منهزمين.

وسبب ذلك أنّ مملوكاً للخليفة الناصر لدين اللّه اسمه قشتمر من أكابر مماليكه كان قد فارق الخدمة لتقصيرٍ رآه من الوزير نصير الدّين (العلويّ الرازيّ، واجتاز بخُوزستان، وأخذ منها ما أمكنه)[3] ولحِق بأبي طاهر صاحب لُرستان، فأكرمه وعظّمه وزوّجه ابنته، ثمّ تُوفّي أبو طاهر فقوي أمر قشتمر، وأطاعه أهل تلك الولاية.

فأمر سَنجَر بجمع العساكر وقصده وقتاله، ففعل سنجر ما أمر به، وجمع العساكر وسار إليه، فأرسل قشتمر يعتذر، ويسأل أن لا يقصد ولا يخرج عن العبوديّة،

---

(١) في (أ): «فلا يخاف».

(٢) الجامع المختصر ٩/٢٠٦، العسجد المسبوك ٢/٣١٢، ٣١٣.

(٣) من (ب).

فلم يقبل عذره، فجمع أهل تلك الأعمال، ونزل إلى العسكر، فلقيهم، فهزمهم، وأرسل إلى صاحب فارس بن دكلا وشمس الدّين إيدغمش، صاحب أصبهان وهمذان والرَّيّ، يُعرّفهما الحال، ويقول: إنّني لا قوة لي بعسكر الخليفة، وربّما أُضيف إليهم عساكر أخرى من بغداد وعادوا إلى حربي، وحينئذٍ لا أقدر بهم؛ وطلب منهما النجدة، وخوّفهما من عسكر الخليفة إن ملك تلك الجبال، فأجاباه إلى ما طلب، فقوي جَنانه، واستمرّ على حاله.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قتل صبيّ صبيّاً آخر ببغداد، وكانا يتعاشران، وعمر كل واحد منهما يقارب عشرين سنة، فقال أحدهما للآخر: الساعة أضربك بهذه السكّين؛ يمازحه بذلك، وأهوى نحوه بها، فدخلت في جوفه فمات، فهرب القاتل ثمّ أُخذ وأُمر به ليُقتل، فلمّا أرادوا قتله طلب دواة و [ورقة] بيضاء، وكتب فيها من قوله:

قَدِمتُ على الكريمِ بغَيرِ زادٍ ... من الأعمال بالقلبِ السليم[1]

وسوءُ الظَّنّ أن تَعتدَّ زاداً ... إذا كانَ القُدومُ على كَريمِ

وفيها حجّ برهان الدّين صدر جهان محمّد بن أحمد بن عبد العزيز بن مازة[2] البخاريّ رأس الحنفيّة ببخارى، وهو كان صاحبها على الحقيقة، يؤدّي الخراج إلى الخطا، وينوب عنهم في البلد، فلمّا حجّ لم تُحمَد سيرته في الطريق، ولم يصنع معروفاً، وكان قد أُكرم ببغداد عند قدومه من بُخارى، فلمّا عاد لم يُلتفت إليه لسوء سيرته مع الحاجّ، وسمّاه الحُجّاج صدر جهنّم[3].

[الوفيات]

وفيها، في شوّال، مات شيخنا أبو الحَرَم مكّي[4] بن ريان[5] بن شبة النَّحْويّ

---

(١) في الأوربية: «بل قلب سليم».

(٢) في طبعة صادر ١٢/ ٢٥٧ «ماره» بالراء المهملة، والتصحيح من الباريسية، والمصادر.

(٣) مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/ ٥٣٩، ذيل الروضتين ٥٧، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٣هـ.) ص ١١، تاريخ الخميس ٢/ ٤١٠.

(٤) أنظر عن (أبي الحرم مكي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٦٠٣هـ.) ص١٣٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) في الباريسية والنسخة رقم ٧٤٠ «علي بن ريان».

المقْرِىء بالموصل، وكان عارفاً بالنّحْو واللّغة والقراءات، لم يكن في زمانه مثله، وكان ضريراً، وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير ذلك معرفة حسنة؛ وكان من خيار عباد الله وصالحيهم، كثير التّواضع، لا يزال الناس يشتغلون عليه من بُكرة إلى الليل.

[ذكر عدّة حوادث]

وفيها فارق أمير الحاجّ مظفّر الدّين سُنقُر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبُع الحاجّ بموضعٍ يقال له المرجوم، ومضى في طائفة من أصحابه إلى الشام، وسار الحاجّ ومعهم الجُند، فوصلوا سالمين، ووصل هو إلى الملك العادل أبي بكر بن أيّوب، فأقطعه إقطاعاً كثيراً بمصر، وأقام عنده إلى أن عاد إلى بغداد سنة ثمانٍ وستّمائة في جُمادى الأولى؛ فإنّه لمّا قُبض الوزير أمِن على نفسه، وأرسل يطلب العود، فأُجيب إليه، فلمّا وصل أكرمه الخليفة وأقطعه الكوفة[1].

[الوفيات]

وفيها، في جُمادى الآخرة، تُوفّي أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الإسكندرانيّ، المعروف بابن النطرونيّ[2]، في مارستان بغداد، وكان قد مضى إلى المايورقيّ في رسالة بإفريقية، فحصل له منه عشرة آلاف دينار مغربيّة، فرّقها جميعها في بلده على معارفه وأصدقائه، وكان فاضلاً خيراً، نِعم الرجل، رحمه الله، وله شِعر حَسَن، وكان قيّماً بعلم الأدب، وأقام بالموصل مدّة، واشتغل على الشيخ أبي الحرم، واجتمعتُ به كثيراً عنده.

---

(١) مرآة الزمان ج ٨، ق ٥٢٨/٢، ذيل الروضتين ٥٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٣هـ.) ص ١١.

(٢) أنظر عن (ابن النطروني) في: الغصون اليانعة، ورقة ٩٠، وذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ٢/ ورقة ١٨٦ أ، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٥٨/١ ـ ١٦٣ رقم ٧٦، وفوات الوفيات ٣٣/٢، والجامع المختصر ٢١٠/٩ ـ ٢١٢، والعسجد المسبوك ٣١٣/٢، ٣١٤.

٦٠٤
ثم دخلت سنة أربع وستمائة

ذكر ملك خوارزم شاه ما وراء النهر
وما كان بخراسان من الفتن وإصلاحها

في هـذه السنـة عبـر علاء الدّين محمد بن خُوارزم شاه نهر جيحُون لقتال الخطا.

وسبب ذلك أنّ الخطا كانوا قد طالت أيّامهم ببلاد تُركِسْتان، وما وراء النهر، وثقلت وطأتهم على أهلها، ولهم في كلّ مدينة نائبٌ يجبي إليهم الأموال، وهم يسكنون الخركاهات على عادتهم قبل أن يملكوا، وكان مقامهم بنواحي أوزْكَنْد، وبَلاسَاغُون، وكَاشْغَر، وتلك النواحي، فاتّفق أنّ سلطان سَمَرْقَند وبُخارى، ويلقّب خان خانان، يعني سلطان السلاطين، وهو من أولاد الخانيّة، عريق النسب في الإسلام والملك، أنِف وضجر من تحكّم الكفّار على المسلمين، فأرسل إلى خُوارزم شاه يقول له: إنّ اللّه، عزّ وجلّ، قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفّار، وتخلّصهم ممّا يجري عليهم من التّحكّم في الأموال والأبشار، ونحن نتّفق معك على محاربة الخطا، ونحمل إليك ما نحمله إليهم، ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكّة؛ فأجابه إلى ذلك، وقال: أخاف أنّكم لا تفون لي.

فسيّر إليه صاحب سَمَرْقَندَ وجوه أهل بُخارى وسمرقند، بعد أن حلّفوا صاحبهم على الوفاء بما تضمّنه، وضمنوا عنه الصدق والثبات على ما بذل، وجعلوا عنده رهائن، فشرع في إصلاح أمر خُراسان، وتقرير قواعدها، فولّى أخاه عليّ شاه طَبَرِستان مضافة إلى جُرجان، وأمره بالحفظ والاحتياط، وولّى الأمير كزلك خان، وهو من أقارب أمّه وأعيان دولته، بنَيسابور، وجعل معه عسكراً؛ وولّى الأمير جلدك مدينة الخام، وولّى الأمير أمين الدّين أبا بكر مدينة زوْزَنَ.

وكان أمين الدّين هذا حمّالاً، ثمّ صار أكبر الأمراء، وهو الذي ملك كَرمان،

على ما نذكره إن شاء الله تعالى، وأقرّ الأمير الحسين[1] على هَراة، وجعل معه فيها ألف فارس من الخُوارزميّة، وصالح غياث الدّين محموداً على ما بيده من بلاد الغُور، وكرمسير، واستناب في مَرْو وسَرْخَس وغيرهما من خُراسان نوّاباً، وأمرهم بحسن السياسة، والحفظ، والاحتياط، وجمع عساكره جميعها، وسار إلى خُوارزم، وتجهّز منها، وعبر جيحونَ، واجتمع بسلطان سَمَرْقَند، وسمع الخطا، فحشدوا، وجمعوا، وجاؤوا إليه فجرى بينهم وقعات كثيرة ومغاورات، فتارة له وتارة عليه.

ذكر قتل ابن خرميل وحصر هَراة

ثمّ إنّ ابن خرميل، صاحب هراة، رأى سوء معاملة عسكر خُوارزم شاه للرعيّة، وتعدّيهم إلى الأموال، فقبض عليهم وحبسهم، وبعث رسولاً إلى خُوارزم شاه يعتذر، ويعرّفه ما صنعوا، فعظم عليه، ولم يمكنه محاقّته[2] لاشتغاله بقتال[3] الخطا، فكتب إليه يستحسن فعله، ويأمره بإنفاذ الجُند الذين قبض عليهم لحاجته إليهم، وقال له: إنّني قد أمرتُ عزّ الدّين جلدك بن طُغرُل، صاحب الخام، أن يكون عندك لما أعلمه من عقله، وحسن سيرته؛ وأرسل إلى جلدك يأمره بالمسير إلى هَراة وأسرّ إليه أن يحتال في القبض على حسين بن خرميل ولو أوّل ساعة يلقاه.

فسار جلدك في ألفَيْ فارس، وكان أبوه طُغرُل، أيّام السلطان سَنجَر، والياً بهَراة، فهوى[4] إليها بالأشواق يختارها على جميع خُراسان، فلمّا قارب هَراة أمر ابن خرميل الناس بالخروج لتلقّيه[5]؛ وكان للحسين وزير يُعرف بخواجه الصاحب، وكان كبيراً[6] قد حنكَتْهُ التّجارب، فقال لابن خرميل: لا تخرج إلى لقائه، ودعه يدخل إليك منفرداً، فإنّني أخاف أن يغدر بك، وأن يكون خُوارزم شاه أمر بذلك. فقال: لا يجوز أن يقدم مثل هذا الأمير ولا ألتقيه، وأخاف أن يضطّغن ذلك عليّ[7] خُوارزم شاه، وما أظنّه يتجاسر عليّ.

---

(١) في (ب): «الحسين بن خرميل».

(٢) في الأوربية: «محاققة».

(٣) «بقتال» ليست في (ب).

(٤) في الأوربية: «فهو».

(٥) في الأوربية: «بتلقيه».

(٦) في الأوربية: «كثيراً».

(٧) في (ب): «يصعب ذلك على».

فخرج إليه الحسين بن خرميل، فلمّا بصر كلّ واحد منهما[١] بصاحبه ترجّل للالتقاء، وكان جلدك قد أمر أصحابه بالقبض عليه، فاختلطوا بهما، وحالوا بين ابن خرميل وأصحابه، وقبضوا عليه، فانهزم أصحابه ودخلوا المدينة وأخبروا الوزير بالحال، فأمر بإغلاق الباب والطلوع إلى الأسوار، واستعدّ للحصار، ونزل جلدك على البلد، وأرسل إلى الوزير يتهدّده، إن لم يسلّم البلد، بقتل ابن خرميل، فنادى الوزير بشعار غياث الدّين محمود[٢] الغوريّ، وقال لجلدك: لا أسلّم البلد إليك، ولا إلى الغادر ابن خرميل، وإنّما هو لغياث الدّين، ولأبيه قبله.

فقدّموا ابن خرميل إلى السور، فخاطب الوزير، وأمره بالتسليم، فلم يفعل، فقُتل ابن خرميل، وهذه عاقبة الغدر، فقد تقدّم من أخباره عند شهاب الدّين الغُوريّ ما يدلّ على غدره، وكفرانه الإحسان ممّن أحسن إليه.

فلمّا قُتل ابن خرميل كتب جلدك إلى خُوارزم شاه بجليّة الحال، فأنفذ خُوارزم شاه إلى كزلك خان، والي نَيسابور، وإلى أمين الدّين أبي بكر، صاحب زوْزَن، يأمرهما بالمسير إلى هَراة وحصارها وأخذها، فسارا في عشرة آلاف فارس، فنزلوا على هَراة، وراسلوا الوزير بالتسليم، فلم يلتفت إليهم، وقال: ليس لكم من المحلّ ما يسلم إليكم مثل هراة، لكن إذا وصل السلطان خُوارزم شاه سلّمتُها إليه. فقاتلوه، وجدّوا في قتاله، فلم يقدروا عليه.

وكان ابن خرميل قد حصّن هراة، وعمل لها أربعة أسوار محكمة، وحفر خندقها، وشحنها بالميرة، فلمّا فرغ من كلّ ما أراد قال: بقيتُ أخاف على هذه المدينة شيئاً واحداً، وهو أن تُسكّر المياه التي لها أيّاماً كثيرة[٣]، ثمّ تُرسل دفعة واحدة فتخرق أسوارها. فلمّا حصرها هؤلاء سمعوا قول ابن خرميل، فسكروا المياه حتّى اجتمعت كثيراً، ثمّ أطلقوها على هَراة فأحاطت بها ولم تصل إلى السور لأنّ أرض المدينة مرتفعة، فامتلأ الخندق ماء، وصار حولها وَحْلاً، فانتقل العسكر عنهم، ولم يمكنهم القتال لبعدهم عن المدينة. وهذا كان قصد ابن خرميل: أن يمتلىء الخندق ماء،

---

(١) في الأوربية: «منها».

(٢) في (ب): «محمود بن غياث الدين».

(٣) في (ب): «كثيرة حتى تجتمع».

ويمنع[1] الوحل من القرب من المدينة، فأقاموا مدّة حتّى نشف الماء، فكان قول ابن خرميل من أحسن الحيل.

ونعود إلى قتال خُوارزم شاه الخطا وأسره؛ وأمّا خُوارزم شاه فإنّه دام القتال بينه وبين الخطا، ففي بعض الأيّام اقتتلوا، واشتدّ القتال، ودام بينهم، ثمّ انهزم المسلمون هزيمة قبيحة، وأُسر كثير منهم، وقُتل كثير. وكان من جملة الأسرى خُوارزم شاه، وأُسر معه أمير كبير يقال له فلان بن شهاب الدّين [مسعود] أسرهما رجل واحد.

ووصلت العساكر الإسلاميّة إلى خُوارزم، ولم يروا السلطان معهم، فأرسلت أخت كزلك خان، صاحب نَيسابور[2]، وهو يحاصر هَراة، وأعلمته الحال، فلمّا أتاه الخبر سار عن هَراة ليلاً إلى نَيسابور، وأحسّ به الأمير أمين الدّين أبو بكر، صاحب زوْزَن، فأراد هو ومَن عنده من الأمراء منعه، مخافة أن[3] يجري بينهم حرب يطمع بسببها أهل هَراة فيهم، فيخرجون إليهم فيبلغون منهم ما يريدونه، فأمسكوا عن معارضته.

وكان خُوارزم شاه قد خرّب سور نَيسابور لمّا ملكها من الغُوريّة، فشرع كزلك خان يعمره، وأدخل إليها الميرة، واستكثر من الجُند، وعزم على الاستيلاء على خُراسان إن صحّ فقدُ السلطان.

وبلغ خبر عدم السلطان إلى أخيه عليّ شاه وهو بطَبرستان، فدعا إلى نفسه، وقطع خطبة أخيه واستعدّ لطلب السلطنة، واختلطت خُراسان اختلاطاً عظيماً.

وأمّا السلطان خُوارزم شاه، فإنّه لمّا أُسر قال له ابن شهاب الدّين مسعود: يجب أن تَدَع السلطنة في هذه الأيّام، وتصير خادماً لعلّي أحتال في خلاصك؛ فشرع يخدم ابن مسعود، ويقدّم له الطعام، ويُخلعه ثيابه وخفّه، ويعظّمه، فقال الرجل الذي أسرهما لابن مسعود: أرى هذا الرجل يعظّمك، فمن أنت؟ فقال: أنا فلان، وهذا غلامي؛ فقام إليه وأكرمه، وقال: لولا أنّ القوم عرفوا بمكانك عندي لأطلقتُك؛ ثمّ تركه أيّاماً، فقال له ابن مسعود: إنّي أخاف أن يرجع المنهزمون، فلا يراني أهلي معهم، فيظنّون أني قُتلتُ، فيعملون العزاء والمأتم، وتضيق صدورهم لذلك، ثمّ

---

(١) في (ب): «ويمتلي».

(٢) في (ب): «نيسابور إلى أخيه وهو».

(٣) في (ب): «فخافوا أن».

يقتسمون مالي فأهلك، وأُحبّ أن تقرّر عليّ شيئاً من المال حتّى أحمله إليك؛ فقرّر عليه مالاً، وقال له: أريد أن تأمر رجلاً عاقلاً يذهب بكتابي إلى أهلي ويخبرهم بعافيتي، ويحضر معه من يحمل المال.

ثمّ قال: إنّ أصحابكم لا يعرفون أهلنا، ولكن هذا غلامي أثق به، ويصدّقه أهلي[1]؛ فأذِن له الخطائيّ بإنفاذه، فسيّره وأرسل معه الخطائيّ فَرَساً، وعدّة من الفرسان يحمونه، فساروا حتّى قاربوا خُوارزم، وعاد الفرسان عن خُوارزم شاه، ووصل خُوارزم شاه إلى خُوارزم، فاستبشر به الناس وضُربت البشائر، وزيّنوا البلد، وأتته الأخبار بما صنع كزلك بنَيسابور، وبما صنع أخوه عليّ شاه بطَبَرستان.

ذكر ما فعله خُوارزم شاه بخراسان

لمّا وصل خُوارزم شاه إلى خُوارزم أتته الأخبار بما فعله كزلك خان وأخوه عليّ شاه وغيرهما[2]، فسار إلى خُراسان، وتبِعتْه العساكر، فتقطّعت، ووصل هو إليها في اليوم السادس ومعه ستّة فرسان، وبلغ كزلك خان وصوله، فأخذ أمواله وعساكره، وهرب نحو العراق، وبلغ أخاه عليّ شاه، فخافه، وسار على طريق قُهستان ملتجئاً إلى غياث الدّين محمود الغُوريّ، صاحب فِيروزكوه، فتلقّاه[3]، وأكرمه، وأنزله عنده.

وأمّا خُوارزم شاه فإنّه دخل نَيسابور، وأصلح أمرها، وجعل فيها نائباً، وسار إلى هَراة، فنزل عليها مع عسكره الذين يحاصرونه، وأحسن إلى أولئك الأمراء، ووثق بهم لأنّهم صبروا على امتثال أمره في تلك الحال ولم يتغيّروا، ولم يبلغوا من هَراة غَرضاً بحسن تدبير ذلك الوزير؛ فأرسل خُوارزم شاه إلى الوزير يقول له: إنّك وعدتَ عسكري أنّك تسلّم المدينة إذا حضرتُ، وقد حضرتُ فسلّم. فقال: لا أفعل، لأنّي أعرف أنكم غدّارون، لا تُبقون على أحد، ولا أسلّم البلد إلاّ إلى غياث الدّين محمود.

فغضب خُوارزم شاه من ذلك، وزحف إليه بعساكره، فلم يكن فيه حيلة، فاتّفق جماعة من أهل هَراة وقالوا: هلك الناس من الجوع والقلّة، وقد تعطّلت علينا معايشنا، وقد مضى سنة وشهر، وكان الوزير يَعِد بتسليم البلد إلى خُوارزم شاه إذا

---

(١) في (ب) زيادة: «بسلامتي».

(٢) في الأوربية: «وغيرهم»، وفي (ب): «وغيرهم فعاد إلى نيسابور وتبعته».

(٣) في (ب): «فتلقاه غياث الدين».

وصل إليه، وقد حضر خُوارزم شاه ولم يسلّم، ويجب أن نحتال في تسليم البلد والخلاص من هذه الشدّة التي نحن فيها.

فانتهى ذلك إلى الوزير، فبعث إليهم جماعة من عسكره، وأمرهم بالقبض عليهم، فمضى الجُند إليهم، فثارت فتنة في البلد عظم خطبها، فاحتاج الوزير إلى تداركها بنفسه، فمضى لذلك، فكُتب من البلد إلى خُوارزم شاه بالخبر، وزحف إلى البلد وأهله مختلطون، فخربوا برجَيْن من السور، ودخلوا البلد فملكوه، وقبضوا على الوزير، فقتله خُوارزم شاه، وملك البلد، وذلك سنة خمسٍ وستّمائة، وأصلح حاله، وسلّمه إلى خاله أمير ملك، وهو من أعيان أمرائه، فلم يزل[1] بيده حتّى هلك خُوارزم شاه.

وأمّا ابن شهاب الدّين مسعود فإنّه أقام عند الخطا مُدَيْدةً، فقال له الذي استأسره يوماً: إنّ خُوارزم شاه قد عدم فإيش عندك من خبره؟ فقال له: أما تعرفه؟ قال: لا! قال: هو أسيرك الذي كان عندك. فقال[2]: لِمَ لم تعرّفني[3] حتّى كنتُ أخدمه، وأسير بين يديه إلى مملكته؟ قال: خفتُكم عليه. فقال الخطائيّ: سِرْ بنا إليه؛ فسارا إليه، فأكرمهما، وأحسن إليهما، وبالغ في ذلك.

ذكر قتل غياث الدّين محمود

لمّا سلّم خُوارزم شاه هَراة إلى خاله أمير ملك وسار إلى خُوارزم، أمره أن يقصد غياث الدّين محمود بن غياث الدّين محمّد بن سام الغُوريّ، صاحب الغُور وفِيروزكوه، وأن يقبض عليه وعلى أخيه عليّ شاه بن خُوارزم شاه، ويأخذ فيروزكوه من غياث الدّين.

فسار أمير ملك إلى فيروزكوه؛ وبلغ ذلك إلى محمود، فأرسل يبذل الطاعة ويطلب الأمان، فأعطاه ذلك، فنزل إليه محمود[4]، فقبض عليه أمير ملك، وعلى عليّ شاه أخي خُوارزم شاه، فسألاه أن يحملهما إلى خُوارزم شاه ليرى فيهما رأيه، فأرسل إلى خُوارزم شاه يعرّفه الخبر، فأمره بقتلهما، فقُتلا في يومٍ واحد، واستقامت

---

(١) في الأوربية: «تزل».

(٢) من النسخة رقم ٧٤٠.

(٣) في الأوربية: «لا عرّفتني».

(٤) في (ب): «محمود من فيروزكوه».

خُراسان كلّها لخُوارزم شاه، وذلك سنة خمسٍ وستّمائة أيضاً.

وغياث الدّين هذا هو آخر ملوك الغُوريّة، ولقد كانت دولتهم من أحسن الدّول سيرة، وأعدلها وأكثرها جهاداً، وكان محمود هذا عادلاً، حليماً، كريماً، من أحسن الملوك سيرةً وأكرمهم أخلاقاً، رحمه الله تعالى.

ذكر عود خُوارزم شاه إلى الخطا

لمّا استقرّ أمر خُراسان لخُوارزم شاه وعبر نهر جيحون، جمع له الخطا جمعاً عظيماً وساروا إليه، والمقدّم عليه شيخ دولتهم، القائم مقام الملك فيهم، المعروف بطاينكوه[1]، وكان عمره قد جاوز مائة سنة، ولقي حروباً كثيرة، وكان مظفّراً، حسن التدبير والعقل، واجتمع خُوارزم شاه وصاحب سمرقند، وتصافّوا هم والخطا سنة ستّ وستّمائة، فجرت حروب لم يكن مثلها شدّة وصبراً، فانهزم الخطا هزيمة منكرة، وقُتل منهم وأُسر خلق لا يحصى.

وكان فيمن أُسر طاينكوه[1] مقدّمهم، وجيء به إلى خُوارزم شاه، فأكرمه، وأجلسه على سريره، وسيّره إلى خُوارزم، ثم قصد خُوارزم شاه إلى بلاد ما وراء النهر، فملكها مدينةً مدينةً، وناحيةً ناحيةً، حتّى بلغ إلى مدينة أُوزْكَنْدَ، وجعل نُوّابه فيها وعاد إلى خُوارزم ومعه سلطان سَمَرْقَند، وكان من أحسن الناس صورةً، فكان أهل خُوارزم يجتمعون حتّى ينظروا[2] إليه، فزوّجه خُوارزم شاه بابنته، وردّه إلى سَمَرْقَند، وبعث معه شِحنةً يكون بسَمَرْقَند على ما كان رسم الخَطا.

ذكر غدر صاحب سَمَرْقَند بالخوارزميّين

لمّا عاد صاحب سَمَرْقَند إليها، ومعه شِحنة لخُوارزم شاه، أقام معه نحو سنة، فرأى [من] سوء سيرة الخُوارزميّين، وقُبح معاملتهم، ما ندم [معه] على مفارقة الخطا، فأرسل إلى ملك الخطا يدعوه إلى سَمَرْقَند ليسلّمها إليه، ويعود إلى طاعته، وأمر بقتل كلّ مَن في سمرقند من الخُوارزميّة ممّن سكنها قديماً وحديثاً، وأخذ أصحاب خُوارزم شاه، فكان يجعل الرجل منهم قطعتَيْن ويُعلّقهم في الأسواق كما يُعلق القصّاب اللحم، وأساء غاية الإساءة، ومضى إلى القلعة ليقتل زوجته ابنة خُوارزم

---

(١) في (ب): «طاينكوا»، وفي تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٦هـ.) ص ١٩ «طاينكو».

(٢) في الأوربية: «ينظرون».

شاه، فأغلقت الأبواب، ووقفت بجواريها تمنعه، وأرسلت إليه تقول: أنا امرأة وقَتْل مثلي قبيحٌ ولم يكن منّي إليك ما أستوجب به هذا منك، ولعلّ تَرْكي أحمد عاقبة، فاتّق اللّه فيّ! فتركها ووكّل بها من يمنعها التّصرّف في نفسها.

ووصل الخبر إلى خُوارزم شاه فقامت قيامته، وغضب غضباً شديداً، وأمر بقتل كلّ مَن بخُوارزم من الغرباء، فمنعته أمّه عن ذلك، وقالت: إنّ هذا البلد قد أتاه الناس من أقطار الأرض، ولم يرض كلّهم بما كان من هذا الرجل، فأمر بقتل أهل سَمَرْقَنْد، فنهَتْه أمّه، فانتهى، وأمر عساكره بالتّجهُّز إلى ما وراء النهر، وسيّرهم أرسالاً، كلّما تجهّز جماعة عبروا جيحون، فعبر منهم خلق كثير لا يحصى، ثمّ عبر هو بنفسه في آخرهم، ونزل على سَمَرْقَند، وأنفذ إلى صاحبها يقول له: قد فعلتَ ما لم يفعله مسلم، واستحللتَ من دماء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر، وقد عفا[1] اللّه عمّا سلف، فاخرج من البلاد وامضَ حيث شئتَ؛ فقال: لا أخرج وافعل ما بدا لك.

فأمر عساكره بالزّحف، فأشار عليه بعض مَن معه بأن يأمر بعض الأمراء، إذا فتحوا البلد، أن يقصدوا الدرب الذي يسكنه التّجّار، فيمنع من نهبه والتطرّق إليهم بسوء، فإنّهم غرباء، وكلّهم كارهون لهذا الفعل. فأمر بعض الأمراء بذلك، وزحف، ونصب السلاليم على السور، فلم يكن بأسرع من أن أخذوا البلد، وأذن لعسكره بالنهب، وقتل من يجدونه من أهل سَمَرْقَند، فنُهب البلد، وقُتل أهله، ثلاثة أيّام، فيقال إنّهم قتلوا منهم مائتي ألف إنسان، وسلم ذلك الدّرب الذي فيه الغرباء، فلم يعدم منهم الفرد[2] ولا الآدميّ الواحد.

ثمّ أمر بالكَفّ عن النهب والقتل، ثمّ زحف إلى القلعة فرأى صاحبها ما ملأ قلبه هيبةً وخوفاً، فأرسل يطلب الأمان، فقال: لا أمان لك عندي؛ فزحفوا عليها، فملكوها، وأسروا صاحبها، وأحضروه عند خُوارزم شاه، فقبّل الأرض وطلب العفو، فلم يعف عنه، وأمر بقتله، فقُتل صبراً، وقُتل معه جماعة من أقاربه، ولم يترك أحداً ممّن يُنسب إلى الخانيّة، ورتّب فيها وفي سائر البلاد نوّابه، ولم يبق لأحد معه في البلاد حكم.

---

(١) في الأوربية: «عفى».

(٢) في (ب): «الحبة».

ذكر الوقعة التي أفنت الخطا

لمّا فعل خُوارزم شاه بالخطا ما ذكرناه مضى مَن سلم منهم إلى ملكهم، فإنّه لم يحضر الحرب، فاجتمعوا عنده؛ وكان طائفة عظيمة من التتر قد خرجوا من بلادهم، حدود الصين قديماً، ونزلوا وراء بلاد تُركِستان، وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب، فلمّا سمعوا بما فعله خُوارزم شاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشلي خان، فلمّا رأى ملك الخطا ذلك أرسل إلى خُوارزم شاه يقول له: أمّا ما كان منك من أَخْذ بلادنا وقَتْل رجالنا فعفوٌ عنه، وقد أتى[1] من هذا العدوّ مَن لا قِبَل لنا به، وإنّهم إن انتصروا علينا، وملكونا، فلا دافع لهم عنك، والمصلحة أن تسير إلينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم، ونحن نحلف لك أنّنا إذا ظفرنا بهم لا نتعرّض[2] إلى ما أخذت من البلاد، ونقنع بما في أيدينا.

وأرسل إليه كشلي خان ملك التتر [يقول]: إنّ هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداء آبائك وأعداؤنا، فساعدنا عليهم، ونحلف أنّنا إذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك، ونقنع بالمواضع التي ينزلونها[3]؛ فأجاب كلاًّ منهما: إنّني معك، ومعاضدك على خصمك.

وسار بعساكره إلى أن نزل قريباً من الموضع الذي تصافّوا فيه، فلم يخالطهم مخالطة يُعلم بها أنّه من أحدهما، فكانت كلّ طائفة منهم تظنّ أنّه معها[4]، وتواقع الخطا والتتر، فانهزم الخطا هزيمة عظيمة، فمال حينئذ خُوارزم شاه، وجعل يقتل، ويأسر، وينهب، ولم يترك أحداً ينجو منهم، فلم يَسْلم منهم إلاّ طائفة يسيرة مع ملكهم في موضع من نواحي الترك يحيط به جبل[5] ليس إليه طريق إلاّ من جهة واحدة، تحصّنوا فيه؛ وانضّم إلى خُوارزم شاه منهم طائفة، وساروا في عسكره، وأنفذ خُوارزم شاه إلى كشلي خان ملك التتر يمنّ[6] عليه بأنّه حضر لمساعدته، ولولاه لما

---

(١) في الأوربية: «أتا».
(٢) في الأوربية: «نعترض».
(٣) في (ب): «ينزلونها والمراعي التي ترعونها».
(٤) في (ب): «أنه مع».
(٥) في الأوربية: «جبال».
(٦) في الأوربية: «يمتّ».

تمكّن من الخطا، فاعترف له كشلي خان بذلك مدّةً، ثمّ أرسل إليه يطلب منه المقاسمة على بلاد الخطا، وقال: كما أنّنا اتّفقنا على إبادتهم ينبغي أن نقتسم بلادهم؛ فقال: ليس لك عندي غير السيف، ولستم بأقوى من الخطا شوكة، ولا أعزّ ملكاً، فإن قنعت بالمساكتة، وإلاّ سرتُ إليك، وفعلتُ بكِ شرّاً ممّا فعلتُ بهم.

وتجهّز وسار حتّى نزل قريباً منهم، وعلم خُوارزم شاه أنّه لا طاقة له به، فكان يراوغه، فإذا سار إلى موضع قصد خُوارزم شاه أهله وأثقالهم فينهبها، وإذا سمع أنّ طائفة سارت عن موطنهم سار إليها فأوقع بها، فأرسل إليه كشلي خان يقول له: ليس هذا فعل الملوك! هذا فعل اللصوص، وإلاّ إن كنتَ سلطاناً، كما تقول، فيجب أن نلتقي، فإمّا أن تهزمني وتملك البلاد التي بيدي، وإمّا أن أفعل أنا بك ذلك.

فكان يُغالطه ولا يجيبه إلى ما طلب، لكنّه أمر أهل الشاش وفَرغانة وأسفِيجاب وكاسان، وما حولها من المدن التي لم يكن في الدّنيا أنزه منها، ولا أحسن عمارة، بالجلاء منها، واللحاق ببلاد الإسلام، ثم خرّبها جميعها خوفاً من التتر أن يملكوها.

ثمّ اتّفق خروج هؤلاء التتر الآخر الذين خرّبوا الدنيا وملكهم جَنْكِزْخَان النّهرجي على كشلي خان [ملك] التتر الأوّل، فاشتغل بهم كشلي خان عن خُوارزم شاه، فخلا وجهه، فعبر النهر إلى خُراسان[1].

ذكر مُلك نجم الدين ابن الملك العادل خلاط

في هذه السنة ملك الملك الأوحد نجم الدّين أيّوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيّوب مدينة خِلاط.

وسبب ذلك أنّه كان بمدينة ميّافارقين مع أبيه، فلمّا كان من مُلك بلبان خِلاطَ ما ذكرناه، قصد[2] هو مدينة مُوش، وحصرها، وأخذها، وأخذ معها ما يجاورها. وكان بلبان لم تثبت قدمه حتّى يمنعه، فلمّا ملكها طمع في خِلاط، فسار إليها، فهزمه بلبان، كما ذكرناه أيضاً، فعاد إلى بلده، وجمع وحشد، وسيّر إليه أبوه جيشاً، فقصد

---

(١) الجامع المختصر ٩/٢٣٧ ـ ٢٣٩، المختصر في أخبار البشر ٣/١٠٩، ١١٠، نهاية الأرب ٢٧/٢٢٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٤هـ.) ص ١٢ ـ ١٥ و (حوادث ٦٠٦هـ.) ص ١٩ ـ ٢٤، البداية والنهاية ١٣/٤٧، ٤٨، العسجد المسبوك ٢/٣١٤ ـ ٣١٩، تاريخ الخميس ٢/٤١٠، تاريخ ابن سباط (بتحقيقنا) ١/ ٢٤٤.

(٢) في (أ): «حصر».

خِلاط، فسار إليه بلبان، فتصافّا واقتتلا، فانهزم بلبان، وتمكّن نجم الدّين من البلاد، وازداد منها.

ودخل بلبان خِلاط واعتصم بها، وأرسل رسولاً إلى مغيث الدين طُغرُل شاه بن قلج أرسلان، وهو صاحب أرْزَن الروم، يستنجده على نجم الدّين، فحضر بنفسه ومعه عسكره، فاجتمعا، وهزما نجم الدّين، وحصرا موش، فأشرف الحصن على أن يُملك، فغدر ابن قلج أرسلان بصاحب خِلاط وقتله طمعاً في البلاد، فلمّا قتله سار إلى خِلاط، فمنعه أهلها عنها، فسار إلى ملازكرد، فردّه أهلها أيضاً، وامتنعوا عليه، فلمّا لم يجد في شيء من البلاد مطمعاً عاد إلى بلده.

فأرسل أهل خِلاط إلى نجم الدّين يستدعونه إليهم ليُملّكوه، فحضر عندهم، وملك خِلاط وأعمالها سوى اليسير منها، وكره الملوك المجاورون له مُلكه لها خوفاً من أبيه، وكذلك أيضاً خافه الكُرج وكرهوه، فتابعوا الغارات على أعمال خِلاط وبلادها، ونجم الدّين مقيم بِخلاط لا يقدر على مفارقتها، فلقي المسلمون من ذلك أذًى شديداً.

واعتزل جماعة من عسكر خِلاط، واستولوا على حصن وان، وهو من أعظم الحصون وأمنعها، وعصوا على نجم الدّين، واجتمع إليهم جمع كثير، وملكوا مدينة أرجيش، فأرسل نجم الدّين إلى أبيه الملك العادل يعرّفه الحال، ويطلب منه أن يمدّه بعسكر، فسيّر إليه أخاه الملك الأشرف موسى بن العادل في عسكر، فاجتمعا في عسكر كثير، وحصرا قلعة وان وبها الخِلاطيّة، وجدّوا في قتالهم، فضعُف أولئك عن مقاومتهم، فسلّموها صلحاً وخرجوا منها، وتسلّمها نجم الدّين، واستقرّ مُلكه بخِلاط وأعمالها، وعاد أخوه الأشرف إلى بلده حَرّان والرُّها[1].

ذكر غارات الفرنج بالشام

وفي هذه السنة كثُر الفرنج الذين بطرابلس وحصن الأكراد، وأكثروا الإغارة على

---

(١) تاريخ الزمان لابن العبري ٢٤٦، الجامع المختصر ٢٤٢/٩، ذيل الروضتين ٦٠، ٦١، تاريخ الأيوبيين لابن العميد ١٢٧، المختصر في أخبار البشر ١٠٨/٣، ١٠٩، الدرّ المطلوب ١٦١، تاريخ الإسلام (٦٠٤هـ) ص ١٦، تاريخ ابن الوردي ١٢٤/٢، مرآة الجنان ٥/٤، البداية والنهاية ٤٣/١٣، العسجد المسبوك ٣١٩/٢، تاريخ ابن خلدون ٣٤٠/٥، السلوك ج ١، ق ١٦٩/١، النجوم الزاهرة ١٩٣/٦، تاريخ ابن سباط ٢٤٣/١.

بلد حمص وولاياتها، ونازلوا مدينة حمص، وكان جمعهم كثيراً فلم يكن لصاحبها أسد الدّين شِيركوه بن محمّد بن شيركوه بهم قوّة ولا يقدر على دفعهم ومنعهم، فاستنجد الظاهر غازي، صاحب حلب، وغيره من ملوك الشام، فلم يُنجده إلاّ الظاهر، فإنّه سيّر له عسكراً أقاموا عنده، ومنعوا الفرنج عن ولايته.

ثمّ إنّ الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة، وقصد مدينة عكّا، فصالحه صاحبها الفرنجي على قاعدة استقرّت من إطلاق أسرى من المسلمين وغير ذلك؛ ثمّ سار إلى حمص، فنزل على بُحيرة قَدَس، وجاءته عساكر الشرق وديار الجزيرة، ودخل إلى بلاد طرابلس، وحاصر موضعاً يسمّى القُلَيْعات[1]، وأخذه صلحاً، وأطلق صاحبه، وغنم ما فيه من دوابّ وسلاح، وخرّبه، وتقدّم إلى طرابُلُس، فنهب، وأحرق، وسبى، وغنم وعاد، وكانت مدّة مُقامه في بلد الفرنج اثني عشر يوماً، وعاد إلى بحيرة قَدَس.

وتردّدت الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح، فلم تستقرّ قاعدة، ودخل الشتاء، وطلبت العساكر الشرقيّة العود إلى بلادهم قبل البرد الشّديد، فنزل طائفة من العسكر بحمص عند صاحبها، وعاد إلى دمشق فشتّى بها، وعادت عساكر ديار الجزيرة إلى أماكنها.

وكان سبب خروجه من مصر بالعساكر أنّ أهل قُبرس من الفرنج أخذوا عدّة قطع من أسطول مصر، وأسروا مَن فيها، فأرسل العادل إلى صاحب عكّا في ردّ ما أخذ، ويقول: نحن صُلحٌ، فَلِمَ غدرتم بأصحابنا؟ فاعتذر بأنّ أهل قبرس ليس لي عليهم حكم، وأنّ مرجعهم إلى الفرنج الذين بالقُسطنطينيّة؛ ثمّ إنّ أهل قُبرس ساروا إلى القسطنطينيّة بسبب غلاء كان عندهم وتعذّرت عليهم الأقوات، وعاد حكم قبرس إلى صاحب عكّا، وأعاد العادل مراسلته فلم ينفصل حالٌ، فخرج بالعساكر، وفعل بعكّا ما ذكرنا، فأجابه حينئذ صاحبها إلى ما طلب وأطلق الأسرى[2].

ذكر الفتنة بخلاط وقتل كثير من أهلها

لمّا تمّ ملك خِلاط وأعمالها للملك الأوحد بن العادل سار عنها إلى ملازكرد

---

(١) القُلَيعات: حصن على ساحل البحر شماليّ طرابلس، على مسافة نحو ٢٥ كيلومتراً.

(٢) التاريخ المنصوري ٥٣، تاريخ الأيوبيين لابن العميد ١٢٧، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٤هـ.) ص ١٧، شفاء القلوب ٢١٥، مفرّج الكروب ٣/ ١٧٥، الدر المطلوب ١٦٠، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري (تأليفنا) ج ١/ ٥٤٧، ٥٤٨.

ليقرّر قواعدها أيضاً، ويفعل ما ينبغي أن يفعله فيها، فلمّا فارق خِلاط وثب أهلها على مَن بها من العسكر فأخرجوه من عندهم، وعصوا، وحصروا القلعة وبها أصحاب الأوحد، ونادوا بشعار شاه أرمن، وإن كان ميّتاً، يعنون بذلك ردّ الملك إلى أصحابه ومماليكه.

فبلغ الخبر إلى الملك الأوحد، فعاد إليهم وقد وافاه عسكر من الجزيرة فقوي بهم، وحصر خلاط، فاختلف أهلها، فمال إليه بعضهم حسداً للآخرين، فملكها، وقتل بها خلقاً كثيراً من أهلها، وأسر جماعة من الأعيان، فسيّرهم إلى ميّافارقين؛ وكان كلّ يوم يرسل إليهم يقتل منهم جماعة، فلم يَسلم إلاّ القليل، وذلّ أهل خلاط بعد هذه الواقعة، وتفرّقت كلمة الفتيان وكان الحكم إليهم، وكُفي الناس شرّهم، فإنّهم كانوا قد صاروا يقيمون ملكاً ويقتلون آخر، والسلطنة عندهم لا حكم لها وإنّما الحكم لهم وإليهم[١].

ذكر مُلك أبي بكر بن البَهلوان مَراغة

في هذه السنة ملك الأمير نُصرة الدّين[٢] أبو بكر بن البهلوان، صاحب أذْرَبِيجان، مدينة مَراغة.

وسبب ذلك أنّ صاحبها علاء الدّين قَراسُنْقُر مات هذه السنة، ووليَ بعده ابن له طفلٌ، وقام بتدبير دولته وتربيته خادم كان لأبيه، فعصى عليه أميرٌ كان مع أبيه وجمع جمعاً كثيراً، فأرسل إليه الخادم مَن عنده من العسكر، فقاتلهم ذلك الأمير، فانهزموا، واستقرّ ملك ولد علاء الدّين، إلاّ أنّه لم تطُل أيّامه حتّى تُوفّي في أوّل[٣] سنة خمسٍ وستّمائة، وانقرض أهل بيته، ولم يبق منهم أحد.

فلمّا تُوفّي سار نُصرة الدّين أبو بكر من تِبرِيز إلى مَراغة فملكها واستولى على جميع مملكة آل قَراسُنْقُر، ما عدا قلعة رُوِين دز[٤] فإنّها اعتصم بها الخادم، وعنده الخزائن والذّخائر، فامتنع بها على الأمير أبي بكر[٥].

---

(١) الجامع المختصر ٩/٢٤٢، البداية والنهاية ١٣/٤٩، العسجد المسبوك ٢/٣٢٠.

(٢) في العسجد المسبوك ٢/ ٣٢٠ «نصرة الدولة».

(٣) في (ب): «أوائل».

(٤) في الباريسية، والنسخة رقم ٧٤٠ «روبدر».

(٥) الجامع المختصر ٩/٢٤٢، العسجد المسبوك ٢/٣٢٠، ٣٢١.

ذكر عزل نصير الدين وزير الخليفة

كان نصير الدّين ناصر بن مهديّ العلويّ هذا من أهل الرَّيّ، (من بيت كبير)[1]. فقدِم بغدادَ (لمّا ملك مؤيّد الدّين بن القصّاب وزير الخليفة الرَّيّ)[2]، ولقي من الخليفة قبولاً، فجعله نائب الوزارة، ثمّ جعله وزيراً، وحكّمه وجعل ابنَه صاحب المخزن.

لمّا كان في الثاني والعشرين من جُمادى الآخرة من هذه السنة عُزل، وأغلق بابه، وكان سبب عزله أنّه أساء السيرة مع أكابر مماليك الخليفة، فمنهم أمير الحاجّ مظفّر الدّين سُنْقُر المعروف بوجه السبُع[3]، فإنّه هرب من يده إلى الشام سنة ثلاثٍ وستّمائة، فارق الحاجّ بالمرخوم[4]، وأرسل يعتذر من هربه ويقول: إنّني هربت من يد الوزير؛ ثمّ أتبعه الأمير جمال الدّين قشتمر، وهو أخص المماليك وآثرهم عنده، ومضى إلى لُرستان وأرسل يعتذر ويقول: إنّ الوزير يريد أن لا يُبقي في خدمة الخليفة أحداً من مماليكه، ولا شكّ [أنّه] يريد [أن] يدّعي الخلافة؛ وقال الناس في ذلك فأكثروا، وقالوا الشِعر، فمن ذلك قول بعضهم:

ألا مُبْلِـغٌ عنّـي الخليفـةَ أحمـدا[5] ... توقَّ[6] وُقِيتَ السّوء ما أنتَ صانعُ

وزيـرُكَ هـذا بيـنَ أمـرَيْـن فِيهمـا ... فَعَـالُـك، يـا خيـرَ البـريّـةِ، ضـائـعُ

فـإن كـان حقّـاً مـن سُـلالـة أحمـدٍ[7] ... فهـذا وزيـرٌ فـي الخِـلافـةِ طـامـعُ

وإن كـان فيمـا يـدّعـي غيـرَ صـادقٍ ... فـأضْيَـعُ مـا كـانَـت لَـدَيـهِ الصنّـائـعُ

فعزله، وقيل في سبب ذلك غيره؛ ولمّا عُزل أرسل إلى الخليفة يقول: إنّني قدمتُ إلى هاهنا وليس لي دينار ولا درهم، وقد حصل لي من الأموال والأعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسة آلاف[8] دينار؛ ويسألُ أن يؤخذ منه الجميع ويُفرج عنه ويمكّن من المقام بالمشهد أُسوَةً ببعض العلويّين.

---

(١) من (أ).

(٢) من (أ).

(٣) في (ب): «السبع أمير الحاج».

(٤) في الباريسية: «بالمرحوم».

(٥) في البداية والنهاية: «خليلي قولا للخليفة وانصحا».

(٦) في الأوربية: «أتوَقّ».

(٧) في البداية والنهاية: «سلالة حيدر».

(٨) في (ب): «خمسمائة ألف».

فأجابه: إنّنا ما أنعمنا عليك بشيء فنوينا استعادته منك، ولو كان ملء الأرض ذهباً، ونفسك في أمان الله وأماننا، ولم يبلغنا عنك ما تستوجب به ذلك، غير أنّ الأعداء قد أكثروا فيك، فاختر لنفسك موضعاً تنتقل إليه موفوراً محترماً.

فاختار أن يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلاّ يتمكّن منه العدوّ فتذهب نفسه، ففُعل به ذلك.

وكان حَسَن السيرة، قريباً إلى الناس، حسن اللقاء لهم والانبساط معهم، عفيفاً عن أموالهم غير ظالم لهم، فلمّا قُبض عاد أمير الحاجّ من مصر وكان في الخدمة العادليّة، وعاد أيضاً قشتمر، وأقيم في النيابة في الوزارة فخر الدّين أبو البدر محمّد بن أحمد بن أمسينا الواسطيّ إلاّ أنّه لم يكن متحكّماً[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ليلة الأربعاء لخمسٍ بقين من رجب زُلزلت الأرض وقت السَّحَر، وكنتُ حينئذٍ بالموصل، ولم تكن بها شديدة، وجاءت الأخبار من كثير من البلاد بأنّها زلزلت ولم تكن بالقويّة[2].

وفيها أطلق الخليفة الناصر لدين الله جميع حقّ البيع وما يؤخذ من أرباب الأمتعة من المكوس من سائر المبيعات، وكان مبلغاً كثيراً. وكان سبب ذلك أنّ بنتاً لعزّ الدّين نجاح شرابيّ الخليفة تُوفّيت، فاشتُرِيَ لها بقر لتُذبح ويُتصدّق بلحمها عنها، فرفعوا في حساب ثمنها مؤونة البقر، فكانت كثيرة، (فوقف الخليفة على ذلك)[3]، وأمر بإطلاق المؤونة جميعها[4].

وفيها، في شهر رمضان، أمر الخليفة ببناء دُور في المحالّ ببغداد ليفطر فيها الفقراء. وسُمّيت دور الضيافة، يُطبخ فيها اللحم الضأن، والخبز الجيّد، عمل ذلك في جانبَيْ بغداد، وجعل في كلّ دار مَن يوثق بأمانته، وكان يعطي كلّ إنسان قدحاً مملوءاً من الطبيخ واللحم، ومنّاً من الخبز، فكان يفطر كلّ ليلة على طعامه خلق لا يُحصون كثرة[5].

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٤٧، العسجد المسبوك ٢/ ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) العسجد المسبوك ٢/ ٣٢٢، ولم يذكر السيوطي هذه الزلزلة في: كشف الصلصلة ١٩٨.

(٣) من (أ).

(٤) العسجد المسبوك ٢/ ٣٢٢، الجامع المختصر ٩/ ٢٢٧.

(٥) مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/ ٥٣٤، الجامع المختصر ٩/ ٢٥٩، العسجد المسبوك ٢/ ٣٢٢.

وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة، ودخل الماء في خندق بغداد من ناحية باب كلْواذى، فخيف على البلد من الغرق، فاهتمّ الخليفة بسَدّ الخندق، وركب فخر الدين نائب الوزارة وعزّ الدّين الشرابيّ ووقفا ظاهر البلد، فلم يبرحا حتّى سُدّ الخندق[1].

[الوَفَيَات]

وفيها تُوفّي الشيخ حَنْبَل بن عبد الله بن الفَرَج المكبّر[2] بجامع الرُّصافة، وكان عالي الإسناد، روى عن ابن الحُصين «مُسند» أحمد بن حَنْبَل، وله إسناد حَسَنٌ، وقدِم الموصل، وحدّث بها وبغيرها.

---

(1) العسجد المسبوك ٢/ ٣٢٣.

(2) أنظر عن (المكبّر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٦٠٤هـ.) ص١٤٢.

٦٠٥
ثم دخلت سنة خمس وستمائة

ذكر مُلك الكُرج أرجيش وعودهم عنها

في هذه السنة سارت الكُرج في جموعها إلى ولاية خِلاط، وقصدوا مدينة أرْجيش، فحصروها وملكوها عَنوةً، ونهبوا جميع ما بها من الأموال والأمتعة وغَيرها، وأسروا وسبَوا أهلها، وأحرقوها، وخرّبوها بالكليّة، ولم يبق بها من أهلها أحدٌ؛ فأصبحت خاوية على عروشها كأنْ لم تَغْنَ بالأمس.

وكان نجم الدّين أيّوب، صاحب أرمينية، بمدينة خِلاط، وعنده كثير من العساكر، فلم يقدم على الكُرج لأسباب: منها كثرتهم، وخوفه من أهل خِلاط لما كان أسلف إليهم من القتل والأذى؛ خاف أن يخرج منها فلا يمكّن من العَود إليها؛ فلمّا لم يخرج إلى قتال الكُرج، عادوا إلى بلادهم سالمين، لم يذعرهم ذاعرٌ، وهذا جميعه، وإن كان عظيماً شديداً على الإسلام وأهله، فإنّه يسيرٌ بالنسبة إلى ما كان ممّا نذكره سنة أربع عشرة إلى سنة سبع عشرة وستّمائة[1].

ذكر قَتْل سنجر شاه ومُلك ابنه محمود

في هذه السنة قُتل سَنجَر شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر، صاحب جزيرة ابن عمر، وهو ابن عمّ نور الدّين، صاحب الموصل؛ قتله ابنه غازي؛ ولقد سلك ابنه في قتله طريقاً عجيباً يدلّ على مكر ودهاء.

وسبب ذلك أنّ سَنجَر كان سيّء السيرة مع الناس كلّهم من الرعيّة والجُند

---

(١) مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/٥٤١ وفيه: «أرخس» تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٥هـ.)، العسجد المسبوك ٢/٣٢٤، ٣٢٥.

والحريم والأولاد[1]، وبلغ من قُبح فِعله مع أولاده أنّه سيّر ابنيْه محموداً ومودوداً إلى قلعة فرَح من بلد الزَّوَزَانِ، وأخرج ابنه هذا إلى دار بالمدينة أسكنه فيها، ووكّل به مَن يمنعه من الخروج.

وكانت الدّار إلى جانب بستان لبعض الرعيّة، فكان يدخل إليه منها الحيّات، والعقارب، وغيرهما من الحيوان المؤذي[2]، ففي بعض الأيّام اصطاد حيّة وسيّرها في منديل إلى أبيه لعلّه يرقّ له، فلم يعطفْ عليه، فأعمل الحيلة حتّى نزل من الدّار التي كان بها واختفى، ووضع إنساناً كان يخدمه، فخرج من الجزيرة وقصد الموصل، وأظهر أنّه غازي بن سَنجَر، فلمّا سمع نور الدّين بقربه منها أرسل نفقة، وثياباً، وخيلاً، وأمره بالعَود، وقال: إنّ أباك يتجنّى لنا الذّنوب التي لم نعملها، ويقبّح ذِكرنا، فإذا صرتَ عندنا جعل ذلك ذريعة للشناعات والبشاعات[3]، ونقع معه في صراعٍ لا ينادى وليده؛ فسار إلى الشام.

وأمّا غازي بن سَنجَر فإنّه تسلّق إلى دار أبيه، واختفى عند بعض سراريه، وعلم به أكثر من بالدّار، فسترت[4] عليه بغضاً لأبيه، وتوقُّعاً للخلاص منه لشدّته عليهنّ، فبقي كذلك، وترك أبوه الطلب له ظنّاً منه أنّه بالشام، [فاتّفق] أنّ أباه، في بعض الأيّام، شرب الخمر بظاهر البلد مع ندمائه، فكان يقترح على المغنّين أن يغنّوا في الفراق وما شاكل ذلك، ويبكي، ويُظهر في قوله قرب الأجل، ودُنُوّ الموت، وزوال ما هو فيه، فلم يزل كذلك إلى آخر النهار، وعاد إلى داره، وسكر عند بعض حظاياه، ففي الليل دخل الخلاء؛ وكان ابنه عند تلك الحَظِيّة، فدخل إليه داره فضربه بالسكّين أربع عشرة ضربة، ثمّ ذبحه، وتركه مُلقًى، (ودخل الحمّام)[5] وقعد يلعب مع الجواري، فلو فتح باب الدّار وأحضر الجُند واستحلفهم لملك البلد، لكنّه أمن واطمأنّ، ولم يشكّ في المُلك.

فاتّفق أنّ بعض الخدم الصغار خرج إلى الباب وأعلم أستاذ دار سَنجَر[6] الخبر،

---

(1) في (ب): «والأولاد».
(2) في (ب): «الحيوانات المؤذية».
(3) في الأوربية: «والشفاعات».
(4) في (ب): «فسترن».
(5) من (ب).
(6) في (ب): «سنجرشاه».

فأحضر أعيان الدّولة وعرّفهم ذلك، وأغلق الأبواب على غازي، واستحلف الناس لمحمود بن سَنجَر شاه، وأرسل إليه فأحضره من فرَح ومعه أخوه مودود، فلمّا حلف الناس وسكنوا فتحوا باب الدّار على غازي، ودخلوا عليه ليأخذوه، فمانعهم عن نفسه، فقتلوه وألقوه[1] على باب الدّار، فأكلت الكلاب بعض لحمه، ثمّ دُفن باقيه.

ووصل محمود إلى البلد وملكه، ولُقّب بمعزّ الدّين، لَقَب أبيه، فلمّا استقرّ أخذ كثيراً من الجواري اللّواتي لأبيه فغرّقهنّ في دجلة.

ولقد حدّثني صديق لنا أنّه رأى بدجلة في مقدار غلوة سهم سبع جَوارٍ[2] مغرّقاتٍ، منهنّ ثلاث قد أُحرقت وجوههنّ بالنار، فلم أعلم سبب ذلك الحريق حتّى حدّثتني[3] جارية اشتريتُها بالموصل من جواريه، أنّ محموداً كان يأخذ الجارية فيجعل وجهها في النار، فإذا احترقت ألقاها في دجلة، وباع من لم يغرّقه منهنّ، فتفرّق أهل تلك الدّار أيدي سبا.

وكان سَنجَر شاه قبيح السيرة، ظالماً، غاشماً، كثير المخاتلة والمواربة، والنظر في دقيق الأمور وجليلها، لا يمتنع من قبيح يفعله مع رعيّته وغيرهم، من أخذ الأموال والأملاك، والقتل، والإهانة؛ وسلك معهم طريقاً وَعْراً من قطع الألسنة والأنوف والآذان، وأمّا اللّحى[4] فإنّه حلق منها ما لا يُحصى. وكان جُلّ فكره في ظُلم يفعله.

وبلغ من شدّة ظلمه أنّه كان إذا استدعى إنساناً ليُحْسن إليه لا يصل إلاّ وقد قارب الموت من شدّة الخوف؛ واستعلى في أيّامه السفهاء، ونفقت سوق الأشرار والساعين بالناس، فخرب البلد، وتفرّق أهله، لا جَرَم سلّط الله عليه أقرب الخلق إليه فقتله ثمّ قتل ولده غازي، وبعد قليل قتل ولده محمود أخاه مودوداً، وجرى في داره من التّحريق والتّغريق والتّفريق ما ذكرنا بعضه، ولو رُمنا شرح قبحِ سيرته لطال[5]، واللّه تعالى بالمرصاد لكلّ[6] ظالم.

---

(١) في (ب): «فقتل وألقي».
(٢) في الأوربية: «جواري».
(٣) في الأوربية: «حدّثني».
(٤) في الأوربية: «اللحا».
(٥) في (ب): «لطال الأمر».
(٦) في الأوربية: «كلّ».

[الوَفَيَات]

في هذه السنة، ثاني المحرّم، تُوفّي أبو الحسن[1] ورّام بن أبي فِراس الزّاهد بالحِلّة السيفيّة، وهو منها، وكان صالحاً.

وفي صفر توُفّي الشيخ مصدَّق بن شبيب النّحْويّ، وهو من أهل واسط.

وفي شعبان تُوفّي القاضي محمّد بن أحمد بن المنداي، الواسطيّ، بها، وكان كثير الرواية للحديث، وله إسناد عالٍ، وهو آخر مَن حدّث بمسند أحمد بن حَنْبَل عن ابن الحُصَين.

وفيه تُوفّي القوام أبو الفوارس نصر بن ناصر بن مكّي المدائنيّ، صاحب المخزن ببغداد، وكان أديباً، فاضلاً، كامل المروءة، يحبّ الأدب وأهله، ويحبّ الشعر، ويُحسن الجوائز عليه، ولمّا تُوفّي وليَ بعده أبو الفتوح المبارك ابن الوزير عضُد الدّين أبي الفَرَج بن رئيس الرؤساء، وأُكرم، وأُعلي محلّه، فبقي متولّياً إلى سابع ذي القعدة وعُزل لعجزه.

[ذكر عدّة حوادث]

وفيها كانت زلزلة عظيمة بنَيسابور وخُراسان، وكان أشدّها بنَيسابور وخرج أهلها إلى الصحراء أيّاماً حتّى سكنت وعادوا إلى مساكنهم[2].

---

(١) في الباريسية: «الحسين».

(٢) مرآة الزمان ج ٨، ق ٥٣٩/٢، دول الإسلام ١١١/٢، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٥هـ.) ص ١٨، العسجد المسبوك ٣٢٦/٢، كشف الصلصلة ١٨٩.

٦٠٦

ثم دخلت سنة ست وستمائة

ذكر مُلك العادل الخابور ونصيبين وحصره سنجار وعوده عنها واتّفاق نور الدّين أرسلان شاه ومظفَّر الدّين

في هذه السنة ملك العادل أبو بكر بن أيّوب بلد الخابور ونَصِيبين، وحصر مدينة سِنجَار، والجميع من أعمال الجزيرة، وهو بيد قُطب الدّين محمّد بن زنكي بن مودود.

وسبب ذلك أنّ قُطب الدّين المذكور كان بينه وبين ابن عمّه نور الدّين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود، صاحب الموصل، عداوة مستحكمة، وقد تقدّم ذكر ذلك، فلمّا كان سنة خمسٍ وستّمائة حصلت مصاهرة بين نور الدّين والعادل، فإنّ ولداً للعادل تزوّج بابنة لنور الدّين، (وكان لنور الدّين وزراء يحبّون أن يشتغل عنهم)[1]، فحسّنوا له مراسلة العادل والاتّفاق معه على أن يقتسما بالبلاد التي لقُطْب الدّين، وبالولاية التي لولد[2] سَنجَر شاه بن غازي بن مودود، وهي جزيرة ابن عمر وأعمالها، فيكون ملك قُطب الدّين للعادل، وتكون الجزيرة لنور الدّين.

فوافق هذا القول هَوَى نور الدّين، فأرسل إلى العادل في المعنى، فأجابه إلى ذلك مستبشراً، وجاءه ما لم يكن يرجوه لأنّه علم أنّه متى ملك هذه البلاد أخذ الموصل وغيرها؛ وأطمع نور الدّين أيضاً في أن يعطي هذه البلاد، إذا ملكها، لولده الذي هو زوج ابنة نور الدّين، ويكون مُقامه في خدمته بالموصل، واستقرّت القاعدة على ذلك، وتحالفا عليها، فبادر العادل إلى المسير من دمشق إلى الفرات[3] في عساكره، وقصد الخابور فأخذه.

فلمّا سمع نور الدّين بوصوله كأنّه خاف واستشعر، فأحضر من يرجع إلى رأيهم

(١) من (أ).

(٢) «الولد» ساقطة من (أ).

(٣) في الأوربية: «الفراة».

وقولهم، وعرّفهم وصول العادل، واستشارهم فيما يفعله، فأمّا مَن أشاروا عليه بذلك فسكتوا، وكان فيهم من لم يعلم هذه الحال، فعظّم الأمر، وأشار بالاستعداد للحصار، وجمْع الرجال، وتحصيل الذّخائر وما يحتاج إليه. فقال نور الدّين: نحن فعلنا ذلك؛ وخبّره الخبر. فقال: بأيّ رأي تجيء إلى عدوّ لك هو أقوى منك، وأكثر جَمْعاً، وهو بعيد منك، متى تحرّك لقصدك تعلم به، فلا يصل إلاّ وقد فرغت من جميع ما تريده، تسعى حتّى يصير قريباً منك، ويزداد قوّة إلى قوّته.

ثمّ إنّ الذي استقرّ بينكما أنّه له يملكه أوّلاً بغير تعب ولا مشقّة، وتبقى أنت لا يمكنك أن تفارق الموصل إلى الجزيرة وتحصرها والعادل ها هنا، هذا إن وَفَى لك بما استقرّت القاعدة عليه لا يجوز أن تفارق الموصل، وإن عاد إلى الشام، لأنّه قد صار له ملك خِلاط وبعض ديار بَكر وديار الجزيرة جميعها، والجميع بيد أولاده، متى سرت عن الموصل أمكنهم أن يحولوا بينك وبينها، فما زدت على أن آذيتَ نفسك وابن عمّك، وقوّيت عدوّك، وجعلتَه شعارك، وقد فات الأمر، وليس يجوز إلاّ أن تقف معه على ما استقرّ بينكما لئلاّ يجعل لك حجّة ويبتدىء بك.

هذا والعادل قد ملك الخابور ونَصِيبين، وسار إلى سِنجار فحصرها، وكان في عزم صاحبها قُطْب الدّين أن يسلّمها إلى العادل بعوض يأخذه عنها، فمنعه من ذلك أميرٌ كان معه، اسمه أحمد بن يرنقش، مملوك أبيه زنكي، وقام بحفظ المدينة والذّبّ عنها، وجهّز نور الدّين عسكراً مع ولده الملك القاهر ليسيروا إلى الملك العادل.

فبينما الأمر على ذلك إذ جاءهم أمرٌ لم يكن لهم في حساب، وهو أنّ مظفّر الدّين كُوكُبري، صاحب إربل، أرسل وزيره [إلى] نور الدّين يبذل من نفسه المساعدة على منع العادل عن سِنجَار، وأنّ الاتّفاق معه على ما يريده، فوصل الرسول ليلاً فوقف(١) مقابل دار(٢) نور الدّين وصاح، فعبر إليه سفينة عبر فيها، واجتمع بنور الدّين ليلاً وأبلغه الرسالة، فأجاب نور الدّين إلى ما طلب من الموافقة، وحلف له على ذلك، وعاد الوزير من ليلته، فسار مظفّر الدّين، واجتمع هو ونور الدّين، ونزلا بعساكرهما بظاهر الموصل.

وكان سبب ما فعله مظفّر الدّين أنّ صاحب سِنجار أرسل ولدَه إلى مظفّر الدّين

---

(١) في الأوربية: «فوقب».

(٢) من (أ).

يستشفع به إلى العادل ليبقي عليه سِنجَار[1]؛ وكان مظفّر الدّين يظنّ أنّه لو شفع في نصف مُلك العادل لشفّعه، لأثره الجميل في خدمته، وقيامه في الذّبّ عن ملكه غير مرّة كما تقدّم؛ فشفع[2] إليه فلم يشفّعه العادل، ظنّاً منه أنّه بعد اتّفاقه مع نور الدّين لا يبالي بمظفّر الدّين، فلمّا ردّ العادل شفاعته راسل نور الدّين في الموافقة عليه.

ولمّا وصل إلى الموصل، واجتمع بنور الدّين[3]، أرسلا إلى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدّين، وهو صاحب حلب، وإلى كَيخَسْرُو بن قَلْج أرسلان، صاحب بلاد الروم، بالاتّفاق معهما، فكلاهما أجاب إلى ذلك، فتواعدوا على الحركة وقصْد بلاد العادل إن امتنع من الصلح والإبقاء على صاحب سِنجار، وأرسلا أيضاً إلى الخليفة الناصر لدين الله ليرسل رسولاً إلى العادل في الصلح أيضاً؛ فقويت حينئذٍ نفس صاحب سِنجار على الامتناع، ووصلت رسل الخليفة، وهو هبة الله بن المبارك بن الضحّاك، أستاذ الدّار، والأمير آق باش، وهو من خواصّ مماليك الخليفة وكبارهم، فوصلا إلى الموصل، وسارا منها إلى العادل وهو يحاصر سِنجار، وكان مَن معه لا يناصحونه في القتال لا سيّما أسد الدّين شِيركوه، صاحب حمص والرحبة، فإنّه كان يُدخل إليها الأغنام وغيرها من الأقوات ظاهراً، ولا يقاتل عليها، وكذلك غيره.

فلمّا وصلت رسل الخليفة إلى العادل أجاب أوّلاً إلى الرحيل، ثمّ امتنع عن ذلك، وغالط، وأطال الأمر لعلّه يبلغ منها غرضاً، فلم ينل منها ما أمّله، وأجاب إلى الصلح على أن يكون له ما أخذ وتبقى سِنجار لصاحبها.

واستقرّت القاعدة على ذلك، وتحالفوا على هذا كلّهم، وعلى أن يكونوا يداً واحدة على الناكث منهم؛ ورحل العادل عن سِنجار إلى حرّان، وعاد مظفّر الدّين إلى إربل، وبقي كلّ واحد من الملوك في بلده، وكان مظفّر الدّين عند مُقامه بالموصل قد زوّج ابنتَيْن له بولدَيْن لنور الدّين، وهما عزّ الدّين مسعود، وعماد الدّين زنكي[4].

---

(١) في الأوربية: «سنجاراً».

(٢) في (أ): «فشفع فيه».

(٣) في (ب): «بنور الدين أرسلان وراسلا الملك».

(٤) مرآة الزمان ج ٨، ق ٥٤١/٢، زبدة الحلب ١٦٢/٣، ذيل الروضتين ٦٧، مفرّج الكروب ١٩٣/٣ - ١٩٥، المختصر في أخبار البشر ١١٢/٣، نهاية الأرب ٤٩/٢٩، ٥٠، دول الإسلام ١١١/٢، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٦هـ.) ص ١٩، البداية والنهاية ٥٢/١٣، العسجد المسبوك ٣٣١/٢، تاريخ ابن سباط ٢٤٧/١.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، عُزل فخر الدّين بن أمسينا[1] عن نيابة الوزارة للخليفة، وأُلزم بيته، ثمّ نُقل إلى المخزن على سبيل الاستظهار عليه، ووليَ بعده نيابة الوزارة مكين الدّين محمّد بن محمّد بن بَرز[2] القُمّيّ، كاتب الإنشاء، ولُقّب مؤيّد الدّين، ونُقل إلى دار الوزارة مقابل باب النُّوبيّ[3].

[الوفيات]

وفيها، في شوّال، تُوفّي مجد الدين يحيى بن الربيع، الفقيه الشافعيّ، مدرّس النظامية ببغداد.

وفيها تُوفّي فخر الدّين أبو الفضل محمّد بن عمر ابن خطيب الرَّيّ، الفقيه الشافعيّ، صاحب التّصانيف المشهورة في الفقه والأصولَيْن وغيرهما، وكان إمام الدّنيا في عصره، وبلغني أنّ مولده سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة.

وفيها، سَلخ ذي الحجّة، تُوفّي أخي مجد الدّين أبو السعادات المبارك بن محمّد بن عبد الكريم الكاتب، مولده في أحد الربيعَيْن سنة أربع وأربعين [وخمسمائة]، وكان عالماً في عدّة علوم مبرّزاً فيها، منها: الفقه، والأصولان، والنحْو، والحديث، واللّغة، وله تصانيف مشهورة في التّفسير والحديث، والنّحْو، والحساب، وغريب الحديث، وله رسائل مدوّنة، وكان كاتباً مفلقاً يُضرب به المثل، ذا دينٍ متين، ولزوم طريقٍ مستقيم، رحمه الله ورضي عنه، فلقد كان من محاسن الزّمان، ولعلّ من يقف على ما ذكرتُه يتّهمني في قولي، ومَن عرفه من أهل عصرنا يعلم أنّي مقصر.

وفيها تُوفّي المجد المطرّزيّ، النّحْويّ الخُوارزميّ، وكان إماماً في النحْو، له فيه تصانيف حسنة.

وفيها تُوفّي المؤيّد بن عبد الرحيم بن الإخوة بأصفهان، وهو من أهل الحديث، رحمه الله.

---

(١) تحرّف إلى: «اسينا» في: خلاصة الذهب ٢٨٣.

(٢) في الباريسية والنسخة رقم ٧٤٠ «برر».

(٣) الفخري ١٥٣، ٣٢٦ ـ ٣٢٨، مختصر التاريخ لابن الكازروني ٢٥١ و٢٥٧، خلاصة الذهب المسبوك للإربلي ٢٨٣ و٢٨٥.

٦٠٧
ثم دخلت سنة سبع وستمائة

ذكر عصيان سَنجَر مملوك الخليفة بخُوزستان ومسير[١] العساكر إليه

كان قُطب الدّين سَنجَر، مملوك الخليفة الناصر لدين الله، قد ولّاه الخليفة خُوزستان، بعد طَاشْتَكين أمير الحاجّ كما ذكرناه، فلمّا كان سنة ستّ وستّمائة بدا منه تغيّرٌ عن الطاعة، فروسل في القدوم إلى بغداد، فغالط ولم يحضر؛ وكان يُظهر الطاعة، ويُبطن التّغلّب على البلاد، فبقي الأمر كذلك إلى ربيع الأوّل من هذه السنة، فتقدّم الخليفة إلى مؤيّد الدّين، نائب الوزارة، وإلى عزّ الدّين بن نجاح الشرابيّ، خاصّ الخليفة، بالمسير بالعساكر إليه بخُوزستان وإخراجه عنها، فسارا في عساكر كثيرة إلى خُوزستان، فلمّا تحقّق سَنجَر قصْدهم إليه فارق البلاد، ولحِق بصاحب شِيراز، (وهو أتابك عزّ الدّين سعد بن دكلا)[٢]، ملتجئاً إليه، فأكرمه وقام دونه.

ووصل عسكر الخليفة إلى خُوزستان (في ربيع الآخر)[٣] بغير ممانعة، فلمّا استقرّوا في البلاد راسلوا سَنجَر يدعونه إلى الطاعة، فلم يُجب إلى ذلك، فساروا إلى أرّجَان عازمين على قصد صاحب شِيراز، فأدركهم الشتاء، فأقاموا شهوراً والرسل متردّدة بينهم وبين صاحب شِيراز، فلم يُجبهم إلى تسليمه، فلمّا دخل شوّال رحلوا يريدون شِيراز، فحينئذٍ أرسل صاحبها إلى الوزير والشرابيّ يشفع فيه، ويطلب العهد له على أن لا يؤذى، فأُجيب إلى ذلك، وسلّمه إليهم هو وماله وأهله، فعادوا إلى بغداد وسَنجَر معهم تحت الاستظهار، وولّى الخليفة بلاد خُوزستان مملوكه ياقوتا[٤] أمير الحاجّ.

---

(١) في (أ): «وتسئير».
(٢) من (أ).
(٣) من (أ).
(٤) في الأوربية: «ياقوت».

ووصل الوزير إلى بغداد في المحرّم سنة ثمانٍ وستّمائة هو والشرابيّ والعساكر، وخرج أهل بغداد إلى تلقّيهم، فدخلوها وسَنجَر معهم راكباً على بغل بإكاف، وفي رجله سلسلتان، في يد كلّ جُنديّ سلسلة، وبقي محبوساً إلى أن دخل صفر، فجمع الخلق الكثير من الأمراء والأعيان إلى دار مؤيّد الدّين نائب الوزارة، فأحضر سَنجَر، وقُرّر بأمور نُسبتْ إليه منكرة، فأقرّ بها، فقال مؤيّد الدّين للناس: قد عرفتم ما تقتضيه[1] السياسة من عقوبة هذا الرجلّ، وقد عفا أمير المؤمنين عنه، وأمر بالخلع عليه، فلبسها وعاد إلى داره، فعجب الناس من ذلك.

وقيل[2] إنّ أتابك سعد نهب مال سَنجَر وخزانته ودوابّه، وكلّ ما له ولأصحابه، وسيّرهم، فلمّا وصل سَنجَر إلى الوزير الشرابيّ طلبوا المال، فأرسل شيئاً يسيراً، والله أعلم[3].

ذكر وفاة نور الدين أرسلان شاه وشيء من سيرته

في هذه السنة، أواخر رجب، تُوفّي نور الدّين أرسلان شاه[4] بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنْقر، صاحب الموصل، وكان مرضه قد طال، ومزاجه قد فسد، وكانت مدّة مُلكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهراً، وكان شهماً شجاعاً، ذا سياسة للرعايا، شديداً على أصحابه، فكانوا يخافونه خوفاً شديداً، وكان ذلك مانعاً من تعدّي[5] بعضهم على بعض؛ وكان له همّة عالية، أعاد ناموس البيت الأتابكيّ وجاهَه، وحُرمته، بعد أن كانت قد ذهبت، وخافه الملوك؛ وكان سريع الحركة في طلب الملك إلاّ أنّه لم يكن له صبرٌ، فلهذا لم يتّسع مُلكه، ولو لم يكن له من الفضيلة إلاّ أنّه لمّا رحل الكامل بن العادل عن ماردين، كما ذكرناه سنة خمسٍ وتسعين وخمسمائة، (عفّ عنها)[6]، وأبقاها على صاحبها، ولو قصدها وحصرها لم يكن فيها قوّة الامتناع، لأنّ مَن كانوا بها كانوا قد هلكوا وضجروا، ولم يبق لهم رمق، فأبقاها على صاحبها.

---

(١) في الأوربية: «يقتضيه».

(٢) من هنا إلى آخر الفقرة من (أ).

(٣) مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/ ٥٤٤، تاريخ الإسلام (٦٠٧هـ.) ص ٢٥، العسجد المسبوك ٢/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٤) أنظر عن (أرسلان شاه) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٧هـ.) ص ٢٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) في (أ): «ذلك سبب تعدي».

(٦) من (أ).

ولمّا ملك استغاث به[1] إنسان من التّجّار، فسأل عن حاله، فقيل إنّه قد أدخل قماشه إلى البلد ليبيعه، فلم يتمّ له البيع، ويريد إخراجه، وقد منُع من ذلك، فقال: مَن منعه؟ فقيل: ضامن البَزّ يريد منه ما جرت به العادة من المكس؛ وكان القيّم بتدبير مملكته مجاهد الدّين قايماز، وهو إلى جانبه، فسأله عن العادة كيف هي؟ [فقال][2]: إن اشترط[3] (صاحبه)[4] إخراج متاعه مُكّن من إخراجه، وإن لم يشترط ذلك لم يخرج حتّى يؤخذ ما جرت العادة بأخذه. فقال: والله إنّ هذه العادة مدبَّرةٌ، إنسان لا يبيع متاعه لأيّ شيء يؤخذ منه ماله؟ فقال مجاهد الدّين: لا شكّ في فساد هذه العادة؛ فقال: إذا قلتُ أنا وأنت إنّها عادةٌ فاسدة، فما المانع من تركها؟ وتقدّم بإخراج مال الرجل، وأن لا يؤخذ إلاّ ممّن باع.

وسمعتُ أخي مجد الدّين أبا السعادات، رحمه الله، وكان من أكثر الناس اختصاصاً به، يقول: ما قلتُ له يوماً في فعل خير فامتنع منه بل بادر إليه بفرح واستبشار؛ واستدعى في بعض الأيّام أخي المذكور، فركب إلى داره، فلمّا كان بباب الدّار لقيته امرأة وبيدها رقعة، وهي تشكو، وتطلب عرضها على نور الدّين، فأخذها، فلمّا دخل إليه جاراه في مهمّ له، فقال: قبل كلّ شيء تقف على هذه الرقعة، وتقضي شغل صاحبتها؛ فقال: لا حاجة إلى الوقوف عليها، عَرّفنا إيش فيها. فقال: والله لا أعلم إلاّ أنّني رأيت امرأة بباب الدّار، وهي متظلّمة، شاكية.

فقال: نعم عرفتُ حالها؛ ثم انزعج فظهر منه الغيظ والغضب، وعنده رجلان هما القيّمان[5] بأمور دولته، فقال لأخي: أبصر إلى أيّ شيء قد دفعت مع هذَين. هذه المرأة كان لها ابن، وقد مات من مدّة في الموصل، وهو غريب، وخلّف قماشاً ومملوكَين، فاحتاط نوّاب بيت المال على القماش، وأحضروا المملوكَين إلينا، فبقيا عندنا ننتظر حضور مَن يستحقّ التّرِكة ليأخذها، فحضرت هذه المرأة ومعها كتاب حُكميّ بأن المال الذي مع ولدها لها، فتقدّمنا بتسليم مالها إليها، وقلتُ لهذَين:

---

(١) في الأوربية: «إليه».
(٢) من الباريسية والنسخة رقم ٧٤٠.
(٣) في الباريسية والنسخة رقم ٧٤٠ «شرط».
(٤) من (أ).
(٥) في الأوربية: «المقيمان».

اشتريا المملوكَيْن منها، وأنصفاها في الثمن؛ فعادا وقالا: لم يتمّ بيننا بيع، لأنّها طلبت ثمناً كثيراً؛ فأمرتُهما بإعادة المملوكَيْن إليها من مدّة شهرين وأكثر، وإلى الآن ما (عُدت)[1] سمعتُ لها حديثاً، وظننتُ أنّها أخذت مالها، ولا شكّ أنّهما لم يُسلّما المملوكَيْن إليها، وقد استغاثت بهما[2]، فلم يُنصفاها، فجاءت إليك، وكلّ مَن رأى هذه المرأة تشكو وتستغيث يظنُّ أنّي أنا منعتُها عن مالها، فيذمّني، وينسبني إلى الظلم، وليس لي علم، وكلّ هذا فِعْل هذَيْن، أشتهي أن تتسلّم أنت المملوكَيْن وتسلّمهما إليها؛ فأخذت المرأة مالها، وعادت شاكرة داعية، وله من هذا الجنس كثير لا نُطوّل بذكره.

ذكر ولاية ابنه الملك القاهر

لمّا حضر نور الدّين الموت أمر أن يرتّب في المُلك بعده ولده الملك القاهر عزّ الدّين مسعود، وحلّف له الجُند وأعيان الناس، وكان قد عهد إليه قبل موته بمدّة، فجدّد العهد له عند وفاته، وأعطى لولده الأصغر عماد الدّين زنكي قلعة عَقْر الحُمَيْديّة، وقلعة شوش، وولايتهما، وسيّره إلى العَقر، وأمر أن يتولّى تدبير مملكتهما، ويقوم بحفظهما، والنظر في مصالحهما، فتاه الأمير بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداده، وحسن سياسته[3] وتدبيره، وكمال خلال السيادة فيه، وكان عُمر القاهر حينئذٍ [عشر سنين].

ولمّا اشتدّ مرضه وأيس من نفسه أمره الأطبّاء بالانحدار إلى الحامّة المعروفة بعين القَيّارة، وهي بالقرب من الموصل، فانحدر إليها، فلم يجد بها راحة، وازداد ضُعفاً، فأخذه بدر الدّين وأصعده في الشبّارة إلى الموصل، فتُوفّي في الطّريق ليلاً ومعه الملاّحون والأطبّاء، بينه وبينهم ستر.

وكان مع بدر الدّين، عند نور الدّين، مملوكان، فلمّا تُوفّي نور الدّين قال لهما: لا يسمع أحدٌ بموته؛ وقال للأطبّاء والملاّحين: لا يتكلّم أحدٌ، فقد نام السلطان؛ فسكتوا، ووصلوا إلى الموصل في الليل، فأمر الأطبّاء والملاّحين بمفارقة الشبّارة لئلاّ يروه ميّتاً، وأبعدوا، فحمله هو والمملوكان، وأدخله الدّار، وتركه في الموضع الذي

---

(١) من (ب).

(٢) في الأوربية: «إليهما».

(٣) في (أ): «سيرته».

كان فيه ومعه المملوكان، ونزل[1] على بابه من يثق به[2] لا يُمكن أحداً من الدّخول والخروج، وقعد مع الناس يمضي أموراً كان يحتاج إلى إتمامها.

فلمّا فرغ من جميع ما يريده أظهر موته وقت العصر، ودُفن ليلاً بالمدرسة التي أنشأها مقابل داره، وضبط البلد تلك الليلة ضبطاً جيّداً بحيث إنّ النّاس في الليل لم يزالوا متردّدين لم يعدم من أحد ما مقداره الحبّة الفرد، واستقرّ المُلك لولده، وقام بدر الدّين بتدبير الدّولة والنظر في مصالحها.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شهر ربيع الآخر، درّس القاضي أبو زكرياء يحيى بن القاسم بن المفرّج، قاضي تكريت، بالمدرسة النظاميّة ببغداد؛ استُدعي من تكريت إليها.

وفيها[3] نقصت دجلة بالعراق نقصاً كثيراً، حتّى كان الماء يجري ببغداد في نحو خمسة أذرُع، وأمر الخليفة أن يُكرى دجلة، فجمع الخلق الكثير، وكانوا كلّما حفروا شيئاً عاد الرمل فغطّاه، وكان الناس يخوضون دجلة فوق بغداد، وهذا لم يُعهد مثله[4].

وحجّ بالناس هذه السنة (علاء الدّين محمّد ولد الأمير)[5] مجاهد الدّين ياقوت أمير الحاجّ، وكان أبوه قد ولاّه الخليفة خُوزستان، وجعله هو أمير الحاجّ، وجعل معه مَن يدبّر الحاجّ، لأنّه كان صبيّاً[6].

[الوفيات]

وفيها، في العشرين من ربيع الآخر، تُوفّي ضياء الدّين أبو أحمد عبد الوهّاب بن عليّ بن عبد الله الأمير البغداديّ ببغداد، وهو سبط صدر الدّين إسمعيل شيخ الشيوخ، وعمره سبْعٌ وثمانون سنة وشهور، وكان صوفيّاً، فقيهاً، محدّثاً، سمعنا منه الكثير، رحمه الله؛ وكان من عباد الله الصالحين كثير العبادة والصلاح.

وفيها تُوفّي شيخنا أبو حفص عمر بن محمّد بن المعمّر بن طَبَرْزَد البغداديّ، وكان عالي الإسناد.

---

(١) في (أ): «وترك».
(٢) في الأوربية: «إليه».
(٣) من هنا إلى نهاية هذه الفقرة عند قوله: «لم يُعهد مثله» من (أ).
(٤) العسجد المسبوك ٢/ ٣٣٥.
(٥) من (أ).
(٦) العسجد المسبوك ٢/ ٣٣٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٧هـ.) ص ٢٧.

٦٠٨

ثم دخلت سنة ثمان وستمائة

ذكر استيلاء مَنكلي على بلاد الجبل وأصفهان وغيرها وهرب إيدغمش

في هذه السنة، في شعبان، قدم إيدغمش، صاحب هَمَذان وأصفهان والرّيّ، وما بينها[١] من البلاد، إلى بغداد، هارباً من منكلي.

وسبب ذلك أنّ إيدغمش كان قد تمكّن في البلاد، وعظُم شأنه، وانتشر صيته، وكثُر عسكره، حتّى إنّه حصر صاحبه أبا بكر بن البهلوان، صاحب هذه البلاد: أذْرَبِيجان وأرّان، كما ذكرناه.

فلمّا كان الآن خرج عليه مملوك اسمه مَنكلي، (ونازعه)[٢] في البلاد، وكثُر أتباعه، وأطاعه المماليك البهلوانيّة، فاستولى عليها، وهرب منه شمس الدّين إيدغمش إلى بغداد، فلمّا وصل إليها أمر الخليفة بالاحتفال له في اللقاء، فخرج الناس كافّة، وكان يوم وصوله مشهوداً، ثمّ قدمت زوجته في رمضان في محمل، فأُكرمت وأُنزلت عند زوجها، وأقام ببغداد إلى سنة عشرٍ وستّمائة، فسار عنها، فكان من أمره ما نذكره[٣].

ذكر نهب الحاجّ بمنًى

وفي هذه السنة نُهب الحاجّ بِمِنًى؛ وسبب ذلك أنّ باطنيّاً وثب على بعض أهل الأمير قتَادة، صاحب مكّة، فقتله بِمِنًى ظنّاً منه أنّه قَتادة، فلمّا سمع قَتادة ذلك جمع الأشراف والعرب والعبيد وأهل مكّة، وقصدوا الحاجّ، ونزلوا عليهم من الجبل،

---

(١) في الأوربية: «بينهما».

(٢) من (أ).

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٨هـ.) ص ٢٩، العسجد المسبوك ٢/ ٣٣٧ و٣٤٠ وسيعاد في أول سنة ٦٠٩هـ.

ورموهم بالحجارة والنَّبل وغير ذلك، وكان أمير الحاجّ ولد الأمير ياقوت المقدّم ذِكره، وهو صبيّ لا يعرف كيف يفعل، فخاف وتحيّر، وتمكّن أمير مكّة من نهب الحاجّ، فنهبوا منهم مَن كان في الأطراف، وأقاموا على حالهم إلى الليل.

فاضطّرب الحاجّ، وباتوا بأسوأ حال من شدّة الخوف من القتل والنهب. فقال بعض الناس لأمير الحاجّ لينتقل بالحجاجّ إلى منزلة حجّاج الشام، فأمر بالرحيل، فرفعوا أثقالهم على الجمال، واشتغل الناس بذلك، فطمع العدوّ فيهم، وتمكّن من النَّهْب كيف أراد، فكانت الجِمال تؤخذ بأحمالها، والتحق مَن سلم بحجّاج الشام، فاجتمعوا بهم، ثمّ رحلوا إلى الزّاهر، ومُنعوا من دخول مكّة، ثمّ أُذِن لهم في ذلك، فدخلوها وتمّموا حجّهم وعادوا.

ثمّ أرسل قَتادة ولده وجماعة من أصحابه إلى بغداد، فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والأكفان، فقبّلوا العتبة، واعتذروا ممّا[(١)] جرى على الحجّاج[(٢)].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أظهر الإسماعيليّة، ومقدّمهم الجلال بن الصباح، الانتقال عن فعل المحرّمات واستحلالها، وأمر بإقامة الصلوات وشرائع الإسلام ببلادهم من خُراسان والشام، وأرسل مقدّمهم رسلاً إلى الخليفة، وغيره من ملوك الإسلام، يخبرهم بذلك، وأرسل والدته إلى الحجّ، فأُكرمت ببغداد إكراماً عظيماً، وكذلك بطريق مكة[(٣)].

[الوفيات]

وفيها، سلْخ جُمادى[(٤)] الآخرة، تُوفّي أبو حامد محمّد بن يونس بن منعة[(٥)]،

---

(١) في الأوربية: «بما».

(٢) مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/ ٥٥٦، ٥٥٧، مفرّج الكروب ٣/ ٢١٠، ذيل الروضتين ٧٨، ٧٩، دول الإسلام ٢/ ١١٤، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٨هـ.) ص ٢٨، ٢٩، مرآة الجنان ٤/ ١٥، البداية والنهاية ١٣/ ٦٢، العسجد المسبوك ٢/ ٣٣٨، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧٣، شذرات الذهب ٥/ ٣٢.

(٣) مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/ ٥٥٥، ذيل الروضتين ٧٨، مفرّج الكروب ٣/ ٢١١، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١١٤، تاريخ الإسلام (حوادث ٦٠٨هـ.) ص ٢٨، البداية والنهاية ١٣/ ٦٢، العسجد المسبوك ٢/ ٣٣٨.

(٤) في (ب): «وفيها في جمادى».

(٥) في طبعة صادر ١٢/ ٢٩٨ «ميعة»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام=

الفقيه الشافعيّ، بمدينة الموصل، وكان إماماً فاضلاً، إليه انتهت رياسة الشافعيّة، لم يكن في زمانه مثله، وكان حسن الأخلاق، كثير التّجاوز عن الفقراء والإحسان إليهم، رحمه الله.

وفي شهر ربيع الأوّل تُوفّي القاضي أبو الفضائل عليّ بن يوسف بن أحمد بن الآمديّ الواسطيّ، قاضيها، وكان نِعم الرجل.

وفي شعبان تُوفّي المعين أبو الفتوح عبد الواحد بن أبي أحمد بن عليّ الأمين، شيخ الشيوخ ببغداد، وكان موته بجزيرة كاس، مضى إليها رسولاً من الخليفة، وكان من أصدقائنا، وبيننا وبينه مودّة متأكّدة، وصُحبة كثيرة، وكان من عباد الله الصالحين، رحمه الله ورضي عنه؛ وله كتابة حسنة، وشِعر جيّد، وكان عالماً بالفقه وغيره، ولمّا تُوفّي رتّب أخوه زين الدّين عبد الرّزّاق بن أبي أحمد، وكان ناظراً على المارستان العَضُديّ، فتركه واقتصر على الرباط.

وفي ذي الحجّة تُوفّي محمّد بن يوسف بن محمّد بن عُبيد الله النَّيسابوريّ الكاتب الحسن الخطّ، وكان يؤدّي طريقة ابن البوّاب، وكان فقيهاً، حاسباً، متكلّماً.

وتُوفّي عمر بن مسعود أبي العزّ أبو القاسم البزّاز البغداديّ بها، وكان من الصالحين، يجتمع إليه الفقراء كثيراً ويحسن إليهم.

وتُوفّي أيضاً أبو سعيد الحسن بن محمّد بن الحسن بن حمدون الثعلبيّ العَدَويّ، وهو ولد مصنّف «التّذكرة»، وكان عالماً.

= (وفيات ٦٠٨هـ.) ص٣١٠.

٦٠٩
ثم دخلت سنة تسع وستمائة

ذكر قدوم ابن مَنكلي (بغداد)[(١)]

في هذه السنة، في المحرّم، قدِم محمّد بن مَنكلي المستولي على بلاد الجبل إلى بغداد. وسبب ذلك أنّ أباه منكلي لمّا استولى على بلاد الجبل وهرب إيدغمش صاحبها منها إلى بغداد خاف أن يساعده الخليفة، ويرسل معه العساكر، فيعظم الأمر عليه، لأنّه لم يكن قد تمكّن في البلاد، فأرسل ولده محمّداً ومعه جماعة من العسكر، فخرج الناس ببغداد على طبقاتهم يلتقونه، وأُنزل وأُكرم، وبقي ببغداد إلى أن قُتل إيدغمش، فخلع عليه وعلى مَن معه، وأُكرموا، وسيّرهم إلى أبيه[(٢)].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض الملك العادل أبو بكر بن أيّوب، صاحب مصر والشام، على أمير اسمه أُسامة، كان له إقطاع كثير من جملته حصن كَوكب من أعمال الأردنّ بالشام[(٣)]، وأخذ منه حصن كوكب وخرّبه وعفّى أثره، ومن بعده بنى حصناً بالقرب من عكّا على جبل يسمّى الطُور، وهو معروف هناك، وشحنه بالرجال والذّخائر والسلاح[(٤)].

[الوفيات]

(وفيها[(٥)] توفّي الفقيه محمّد بن إسمعيل بن أبي الصيف اليمنيّ، فقيه الحرم الشريف بمكّة).

---

(١) من (ب).

(٢) تقدّم هذا الخبر أول سنة ٦٠٨هـ.

(٣) في (أ): «والشام».

(٤) أنظر عن (أسامة) في: مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/ ٥٦٠، ٥٦١، مفرّج الكروب ٣/ ٢٠٩، ٢١٠، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ١١٤، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥٩، تاريخ الإسلام (٦٠٩هـ.) ص ٣٠، ٣١، والسلوك ج ١، ق ١/ ١٧٥ وفيه مجرّد الإشارة.

(٥) من هنا إلى آخر الفقرة من (أ).

٦١٠
ثم دخلت سنة عشر وستمائة

ذكر قتل إيدغمش

في هذه السنة، في المحرّم، قُتل إيدغمش[١] الذي كان صاحب هَمَذان، وقد ذكرنا سنة ثمانٍ أنّه قدِم إلى بغداد وأقام بها، فأنعم عليه الخليفة، وشرّفه بالخِلع، وأعطاه الكوسات وما يحتاج إليه، وسيّره إلى هَمَذان، فسار (في جُمادى الآخرة)[٢] عن بغداد قاصداً إلى هَمَذان، فوصل إلى بلاد ابن ترجم[٣] واجتمعا، وأقام ينتظر وصول عساكر بغداد إليه ليسير معه على قاعدةٍ استقرّت بينهما.

وكان الخليفة قد عزل سليمان بن ترجم[٣]، عن الإمارة على عشيرته من التركمان (الإيوانيّة)[٤]، وولّى أخاه الأصغر، فأرسل سليمان إلى منكلي يعرّفه بحال إيدغمش، ومضى هو على وجهه، فأخذوه فقتلوه، وحملوا رأسه إلى منكلي، وتفرّق من معه من أصحابه في البلاد لا يلوي أخ على أخيه.

ووصل الخبر بقتله إلى بغداد، فعظم على الخليفة ذلك، وأرسل إلى منكلي ينكر عليه ما فعل، فأجاب جواباً شديداً، وتمكّن من البلاد، وقوي أمره، وكثُرت جموع عساكره، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله.

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس في هذه السنة أبو فراس بن جعفر بن فراس الحلّيّ، نيابةً عن أمير

---

(١) أنظر عن قتل إيدغمش في: مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/ ٥٦٧، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ١١٥، ودول الإسلام ٢/ ١١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ٦١٠هـ.) ص ٣٥، والعسجد المسبوك ٢/ ٣٤٢، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٨، وشذرات الذهب ٥/ ٤١.

(٢) من (أ).

(٣) في الجريدة الرسمية ١٨٤٧، ج ١/ ١٧٨ أ و ب: «برجم».

(٤) من (أ) و (ب).

الحاجّ ياقوت، ومُنع ابن ياقوت عن الحج (لما جرى للحاجّ في ولايته)[1].

[الوفيات]

وفيها، في المحرّم، تُوفّي الحكيم المهذّب عليّ بن أحمد بن هبل، الطبيب المشهور، كان أعلم أهل زمانه بالطبّ، روى الحديث، وكان مقيماً بالموصل، وبها مات، وكان كثير الصدقة، حسن الأخلاق، وله تصنيف حسن في الطبّ.

وفيها تُوفّي الضّيا بن عليّ البغداديّ، الفقيه الحَنبَليّ، صاحب ابن المنّي.

وفيها تُوفّي أيضاً أحمد بن مسعود التركستانيّ، الفقيه الحَنَفيّ ببغداد، وهو مدرّس مشهد أبي حنيفة.

وفيها، في جُمادى الأولى، تُوفّي معزّ الدّين أبو المعاني سعد بن عليّ المعروف بابن حديد الذي كان وزير الخليفة الناصر لدين الله، وكان قد أُلزم بيته، ولمّا تُوفّي حُمل تابوته إلى مشهد أمير المؤمنين عليّ، عليه السّلام، بالكوفة، وكان حَسَن السيرة في وزارته، كثير الخير والنفع للناس.

---

(١) ما بين القوسين من (أ). والخبر في: مرآة الزمان ج ٨، ق ٢/ ٥٦٤، والعسجد المسبوك ٢/ ٣٤٢، ٣٤٣، والنجوم الزاهرة ٦/٢٠٨.